مدخل الإعلام

د. عوض إبراهيم عوض



مدخل الإعلام

دار المؤتمن للطباعة والتأليف

2011م

فهرسة مكتبة المؤتمن، بدار الإحسان

7726-2445

عوض إبراهيم عوض

مدخل الإعلام

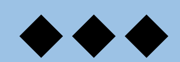
166 ص؛ 17×24 سم

الطبعة الأولى

أبريل 2011م

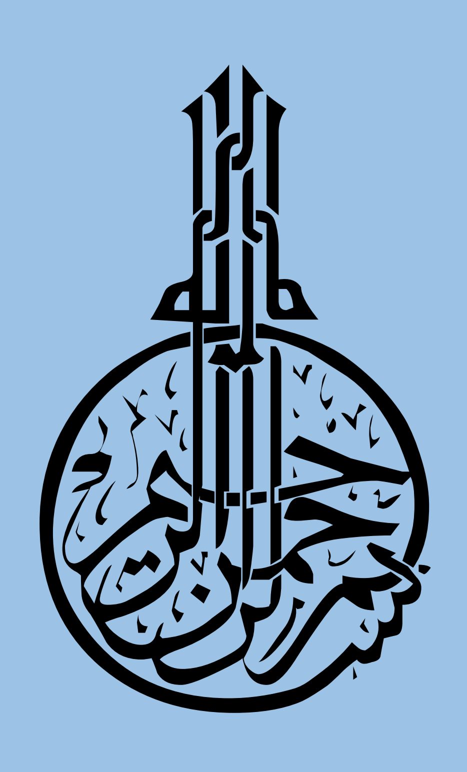
دار المؤتمن للنشر والطباعة والتأليف **-العلم حق لكل بني الإنسان-**	

مدخل الإعلام



أ. د. عوض إبراهيم عوض




بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

هُوَ الذي بَعَثَ فِي الأُميينَ رسولاً
منهم يتلو عليهِمْ آياتِه ويُزكِيهِمْ
ويُعَلِّمُهم الكِتابَ والحِكْمَةَ
وإنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي
ضَلالٍ مُبينْ.

صدَقَ اللهُ العظيم

إهداء:

إلى كل طلبة الإعلام والعلوم الإنسانية في بلادي الحبيبة السودان الذين تشربوا بهوى المعارف والعلوم لا سيما الذين تكبدوا مشاق التلقي في سنوات قلَّ فيها الكتاب وندرت فيها المراجع لمن لا يملك مفاتيح الكنوز. أهدي هذه السطور التي وضعتُها كلبنة أولى لمن يريد التعرف على أبجديات الاتصال. وأشكر من خلالها طلبتي بجامعة أفريقيا العالمية بالخرطوم الذين كان لحثهم المتواصل وإلحاحهم الشديد الفضل في تسطير هذه الأوراق عن الاتصال. وكلي أملٌ أن يجدوا فيها ما يشفي غليلهم وحبهم للمعرفة التي أصبح على رأسها الإعلام في زماننا الحاضر. والحمد لله الذي وفقنا لاستراق سويعات من الوقت لإعداد هذه المذكرة في زمان أصبح الوقت فيه أعزَّ من النوق العصافير وأصبحت عجلاته تجري بأعمارنا أسرع مما في مخيلة أي بشر.

د. عوض إبراهيم عوض

جامعة إفريقيا العالمية

الخرطوم

أبريل 2011م

الفصل الأول

❄❄❄❄❄

مفهوم الاتصال

الفصل الأول
مفهوم الاتصال

❄❄❄❄❄

أشار بعض علماء الاتصال المسلمين إلى أن مفهوم الاتصال هو المفهوم الذي يذهب إليه مصطلح البيان في اللغة العربية قبل أن يدخل في المصطلحات البلاغية. وهو المصطلح الذي وردت الإشارة إليه في القرآن الكريم في سورة الرحمن بقوله تعالى: ﴿**خَلَقَ الإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ البَيَانَ**﴾.

وفي الآية 138من سورة آلُ عِمران يقول الله تعالى: ﴿**هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ**﴾. وَكذلك جاء في قوله تعالى في الآية 89 من سورة النحل: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾. وفي سورة القيامة تقول الآية 19: ﴿**ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**﴾.

وقد أورد عبد العزيز شرف في كتابه (**المدخل إلى وسائل الإعلام**)، الذي أصدرته دار الكتاب اللبناني بيروت في عام 1989م بصفحة 17: (إن البيان في المفهوم الاتصالي هو الإفصاح، وحُسن الفهم، وذكاء القلب، وأصله الكشف والظهور). إذن فالبيانُ أساسٌ متين كي ندخل في فهم الاتصال الإنساني.

الاتصال والإعلام

لقد درج كثير من الناس على الخلط بين مفهوم الاتصال Communication ومفهوم الإعلام Information. حيث إن عبارة الإعلام التي نستخدمها كثيراً في حياتنا اليومية تختلف في مدلولها عن مفهوم الاتصال الذي هو أوسع في المفهوم الغربي الذي اعتبر الإعلام واحداً من وظائف الاتصال. وعبارة الاتصال لها مدلولان في المفهوم الغربي أولهما وهو الذي يرمز له بكلمة Communication وهو يعني نقل محتوى فكرة من شخص أو جماعة إلى شخص آخر أو جماعة أخرى.

أما عندما نستخدم كلمة اتصال الإنجليزية ونضيف إليها حرف (S) في نهايتها Communications فإنها تشمل وسائل الاتصالات المختلفة بما فيها المواصلات التي تدخل فيها قضبان السكة الحديد والطرق المعبدة وغيرها كالجداول التي يحفرها الإنسان والقنوات الأرضية المختلفة الخ..

ولكن هذا المفهوم لا يدخل في دراسة علم الاتصال الذي نحن بصدده، لأنَّ الذي يعنينا في الدراسة هو المفهوم الأول للاتصال البشري الذي يتم بين فرد وآخر أو فرد ومجموعة أفراد والذي هو مناط العملية التي نسميها عموماً بنقل الرسالة الإعلامية. وقد انتقد كثير من علماء وأساتذة ودارسي علم الاتصال استخدام كلمة إعلام لتدل على الاتصال، ولكنا نرى عكس ما ذهبوا إليه

وذلك في رأينا أن هذين المصطلحين إعلام Information واتصال Communication في اللغة الإنجليزية هما سبب الإشكال بحكم المعنى الضيق لكلمة إعلام Information في اللغة الإنجليزية الذي لا يتجاوز مضمون الإخبار عن الشيء. أما مدلولها في اللغة العربية فهو أوسع من ذلك بكثير حيث يشمل الإخبار والاتصال بالآخرين من أجل نقل المعلومات والمعرفة إليهم.

وقد توسع هذا المفهوم في اللغة العربية ليشمل الخدمة الاتصالية برمتها متضمناً الرسالة وعناصرها المختلفة من مرسل ومتلقي ووسيلة وتشويش ورد فعل. وقد رسخ هذا المفهوم في ذهن متحدث اللغة العربية بشكل قاطع لا يثير أي تناقض مع مدلول الاتصال الذي جاءت به اللغة الإنجليزية.

لهذه الأسباب فإننا نرى أنَّ استخدام عبارة إعلام لتعطي معنى الاتصال هو عين الحقيقة وهو استخدام صحيح لا خطأ فيه. ولا بد للمتجادلين في هذا المصطلح أن يراعوا طبيعة اللغة العربية التي هي أوسع بكثير وأثرى في مفرداتها ومعانيها.

أما إذا كان الحديث عن المدلول في اللغة الإنجليزية فإننا نرى ما رآه الآخرون لاسيما ما ذهب إليه الكتاب الأمريكيون جون فيفيان وشيرلي بياجي ومن قبلهم علماء الاتصال هارولد لاسويل وولبر شرام. حيث إنهم فرقوا بين مفهومي الاتصال والإعلام مشيرن

إلى وظائف الاتصال التي تضع مفهوماً محدوداً جداً للإعلام كواحدة من هذه الوظائف.

وظائف الاتصال

1. الإعلام Information
2. الرصد والمراقبة Surveillance
3. الترفيه Entertainment
4. الإقناع والترغيب Persuasion
5. التعليم Education

غايات الاتصال

كان غرض خلقنا في مجموعات متباينة سميت بالشعوب والقبائل هو أن نتعارف. قال تعالى في الآية 13 من سورة الحجرات: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾. وبذلك فإن التعارف هو غايةٌ من أهم غايات الإنسان الذي هو بفطرته كائنٌ اجتماعي، وقد ظلَّ منذ بداية خلقه ينزع إلى الاتصال بمن حوله بغرض هذا التعارف الذي دعت إليه تلبية

الحاجات الفطرية لدى البشر من طلبات ورغبات ومحاولات للتعرف على ما حوله وما إلى ذلك. وقد غرس الله سبحانه وتعالى فيه حب المعرفة وحب التواصل وحب البقاء. وكل هذه الغرائز تحتاج إلى التواصل بين الناس، ولذلك خلق اللهُ معه أدوات التواصل وعلى رأسها جهاز النطق المكون من الفم بكل مكوناته من لسان وشفتين وأسنان ولثة وحنك ثم البلعوم والرئتين وكل الأعضاء التي تسهم في التنفس وصنع الكلام. وقد استخدمها الإنسان في شتى المجالات وعلى رأسها التواصل والتعلم واكتساب المعرفة بشكل أو بآخر.

أساليب الاتصال الأولى

إذا تتبعنا مسيرة الإنسان عبر التاريخ بدءاً بحياته الأولى على الأرض نلاحظ أنه قد استخدم أساليب مختلفة للاتصال. وهذه الأساليب ظلت في كل مرحلة تمثل القنوات اليومية لتواصل الناس.

وخلال مسيرته الطويلة من أجل البقاء استخدم الإنسان مختلف الأنماط الاتصالية من أجل أن يتعامل مع غيره من البشر والمخلوقات والطبيعة التي حوله. وقد احتاج طوال هذه المسيرة أن يطور أساليب اتصاله بمن حوله ليصل إلى مراده. ومن أساليب الاتصال الأولى التي لجأ إليها الإنسان الدخان والطبول والصيحات

إلى أن وصل إلى مرحلة رواية الأخبار الشفاهية. وفيما يلي نقف بالتفصيل مع هذه الأدوات الأولى للاتصال.

اللغة كوسيلة اتصال

استنبط الإنسان اللغة لوصف ما حوله من أشياء وكائنات ومعطيات تفرض نفسها عليه. واللغة ﰲ تعريفها البسيط هي مجموعة من الرموز الشفوية التي يتكلم بها الناس على تباين جنسياتهم. لذلك كانت الوسيط للتخاطب بينهم ونقل المعلومات. ولكل أمة لغتها الخاصة لذلك لا يتم الاتصال بين هذه الأمم إلا إذا درست كل أمة لغة الأخرى وعرفت فك رموزها ومدلولاتها.

ولعل اللغة هي أهم وسيلة للاتصال البشري صنعها الإنسان طوال مسيرته الحياتية. وقد يندهش البعض لعبارة صنعها الإنسان ونحن نعلم أن الذي خلق اللغات وعلمها للإنسان هو الله سبحانه وتعالى. لتوضيح هذا الأمر لا بد من العودة لسنوات البداية التي نشأ فيها الإنسان.

كان آدم الأب الأول للبشرية جمعاء، وقد جاء الناسُ من تزاوجه مع حواء. ومن صلبه خرجت كل أنماط البشر (**كُلُكُمْ لآدَمَ وآدَمُ مِنْ تُرَابْ**). وقد صور الخالقُ جلَّ وعلا هذا الأمر من خلال الآية الأولى ﰲ سورة النساء، حيثُ قال: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي**

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء﴾. والنفسُ الواحدة هي نفس آدم وزوجها حواء التي خُلقت بالمد من ضلع من أضلاعه اليسرى وبثَّ أي نشر منهما رجالاً كثيراً ونساء.

ولما كان التواصل في شكله البسيط يتم بين فرد وآخر لنقل معلومة أو استفسار فإن هذا الأمر يحتاج لحصيلة لغوية تسهم في إكمال هذه العملية. ولذلك عندما خلق الله الإنسان خلقه قادراً على صنع الكلام بمفرداته ومعانيه.

وقال في محكم تنزيله بسورة البقرة الآية 31: **﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾** البقرة 31 -32.

وانتشر الناس في بداية أمرهم في بقاع مختلفة من الغابات والسهول والوديان ومجاري الأنهار التي كانت هي المكونات الطبيعية البسيطة لكل البقاع حيث لا عمارات ولا شوارع ولا تقنيات ولا قرى ولا مدن. وكانت حاجة الإنسان البسيط لا تتعدى الأكل والشرب والاستئناس بظل يضطجع تحته ومكان آمن يأوي إليه من خطر الحيوانات الداهمة والطبيعة المتوحشة. ووجد الناس أنفسهم متفرقين في أماكن اختارها كل حسب مزاجه وحسب حاجته.

ولذلك نبعت الحاجة لتسمية الأشياء التي حولهم، وظهرت تلقائياً المفردات التي ظهرت بشكل أقرب إلى العشوائية لتمييز الأشياء التي حولهم وفق ما يرونه مناسباً ووفق ما تجود به ملكاتهم التعبيرية من كلمات.

وشيئاً فشيئاً كونت هذه الكلمات حصيلة لا بأس بها فأصبحت لغةً لهذه المجموعة. وقطعاً فإن مفردات هذه اللغة لا تتعدى الأشياء التي حولهم. وإذا علمنا أن كل مجموعة قد عاشت بمعزل عن المجموعة الأخرى في مكان مختلف وربما ظروف مختلفة فإنها ستخلق لغة أخرى بنفس الطريقة.

وشيئاً فشيئاً أيضاً كثرت اللغات باختلاف المجموعات البشرية مهما قل عدد أفرادها أو كثر. ولهذا فإن اللغة أصبحت هي العامل الأساسي والأهم في عملية الاتصال البشري. وهي بذلك تعتبر صنيعة بشرية أسهمت فيها أدوات النطق والتفكير التي غرسها الخالق سبحانه في الإنسان لتساعده على التواصل.

وبذلك فإن كل إنسان في هذه الدنيا له قابلية أن يتعلم أي لغة من لغات البشر بحكم أن جهازه النطقي قد خلق بهذه القابلية ولكن كلما تعرض الإنسان للغة بعينها ونظام صوتي بعينه فإنه سيتأقلم على هذا النظام وتضعف قابليته للتكيف مع أصوات اللغات الأخرى التي لم يتعرض لها. وبمرور الزمن طور البشر حصيلة مفرداتهم في كل لغة من اللغات التي استخدموها

وذلك بإضافة المسميات لما يطرأ على مداركهم من أشياء وسلوك ومستجدات. حتى أن كل لغة من اللغات الإنسانية أصبحت كافية بمتطلبات جميع الأفراد الذين يستخدمونها من أسماء ومعاني ومدلولات. وقد كان ذلك أولى الخطوات في البحث عن قنوات حقيقية للاتصال البشري. وهي في نهاية المطاف أصبحت أداة الإعلام الأساسية التي بدونها لا يستقيم فهم الإعلام.

الدخان

لجأت الجماعات البشرية في تدرجها مع الاتصال إلى استخدام النار والدخان كوسيلة اتصال فيما بينها. وذلك عندما أدركوا قيمة ارتفاع الدخان في السماء مما يمكنهم من استخدامه كرمز لحدث معين مثل تنبيه البعيدين لخطر حيوانات مفترسة تتجه نحوهم أو طلب النجدة في بعض الظروف. وقد يعني استخدام الدخان الدعوة إلى وليمة أو إخطار الآخرين بشيء معين تعارف الناس عليه.

معنى ذلك أن الدخان يمكن أن يستخدم كوسيلة عاجلة وواضحة لأي غرض يتفق عليه الناس في تلك المجتمعات البدائية. وليس بالضرورة أن يكون المقصود برسالة الدخان مفهوماً واحداً تتعارف عليه كل تلك المجتمعات. وبالطبع فإن إشعال النار

ليصعد منها الدخان كان أمراً ميسوراً لدى تلك المجتمعات البسيطة بحكم أن النار تحتاج للحطب والعشب المتوفر لدى كل إنسان بلا مقابل ما دام العراء والغابة هي مسكن الأنسان.

الصرخات

كان الصوت البشري واحداً من الأدوات الفاعلة التي لجأ إليها الإنسان في بداياته لتكون وسيلة للاتصال بينه وبين الآخرين. ولما كانت الصرخات التي يحدثها الإنسان ذات ذبذبات عالية يمكن سماعها من مسافات بعيدة فقد استخدمها الإنسان قديماً لتنبيه الآخرين ممن يبعدون عنه وذلك عندما يحتاج إلى تنبيههم أو دعوتهم أو إرسال أي إشارةٍ إليهم. ورغم محدودية طاقة الإنسان على إصدار صوتٍ يُسمع للكل إلا أن الصرخات أدت مفعولها في حدود ما كانت تُستخدمُ فيه بتلك المجتمعات البدائية.

وكان أغلب استخدام الصرخات عندما يظهر حيوان مفترس أو يواجه الإنسان مشكلةً أو ألمت به كارثةٌ تحتاج إلى عون الآخرين. كما أنها قد وُظفت أيضاً للنداء. وهي بالطبع أسلوبٌ فطري وطبيعي مثله مثل صراخ الطفل الذي إذا انزلق من مكانه أو سقط من فراشه أو تعرض لأمر صعب مهما كان شكله فإنه يصرخ تلقائياً طلباً للعون والخلاص مما هو فيه.

الطبول

كانت الطبول عنصراً آخر من عناصر التنبيه والإعلام عن شيء معين. وهي مثل الصرخات قد ساعدت في نقل الرسالة التي يتعارف عليها الناس وهم في معزل عن بعضهم البعض. وقد صنعوا تلك الطبول عندما شعروا بأن الصرخات التي يحدثها الصوت البشري العادي قد لا تفي بالغرض لأنها لا تذهب أبعد من مدى الصوت العادي وهو مدىً قصير تحت كل الظروف.

وبالطبع فقد كانت الطبول بدائية هي الأخرى. وكان الإنسانُ القديمُ يصنعها من المواد المتاحة له في تلك البيئة البسيطة. وهو يستخدم في صُنعها جلود الحيوانات، والأواني الفخارية التي يسهلُ صنعها من طين الأرض.

الصائح

في بعض بقاع أوربا ظهر الصائح الذي يركض في شوارع المدن Town Crier معلناً وصول المراكب التي تحمل البضائع لكي يأتي الناس لشرائها أو مقايضتها بما لديهم عند مربطها على ضفة النهر أو البحر. وكان هذا السلوك أكثر تطوراً إذا قارناه بالأشكال الأولى للاتصال. وهو شبيه بما تفعله وسائل الاتصال الحديثة من إعلان عن السلع ودعاية للمنتجات وغيرها حينما يحملُ الباعةُ

المتجولون مكبرات الصوت ويطوفون حول الأحياء حاملين معه بضائعهم الخفيفة. وفي بعض بقاع السودان ظل دور الصائح مستمراً في كثير من القرى لاسيما عند حدوث وفاة لأحد أهل القرية، حيث يركبُ أحدهم على حمار ويتجول بين الأزقة قائلاً: (**يا أهل الحي فلان ابن فلان بقى في حق الله**) ومعناها أن فلاناً هذا قد انتقل لرحمة مولاه.

وهنا يُهرع الناس لبيت المأتم واثقين في صدق المعلومة التي ينقلها هذا الصائح. وبالطبع فإن الحاضر منهم يُبلغُ الغائب بالخبر الذي لم يلتقطه بنفسه من فم الصائح.

رواة الأخبار

في مرحلةٍ لاحقة من مراحل تطور عملية التواصل الإنساني ظهر في البلاد الأوربية ما سُمي (رواة الأخبار)، وهم أشخاص يجلسُ الواحدُ منهم في إحدى الحدائق أو الميادين الفسيحة التي يؤمها الناس ويظلُ يروي لهم الأخبار والأحداث التي تحدث في المدينة.

وظل راوي الأخبار في تلك الحقب السالفة ينتقي الأخبار ذات الأهمية لا سيما التي تتعلق بالنبلاء والأمراء والحكام والوزراء. حيثُ إن لها أههميةً خاصة ولا بد أن يمتثل الناس إذا كان فيها شيءٌ من الأوامر أو التعليمات. وكان بعضُ رواة الأخبار هؤلاء

يتقاضون بعض النقود مقابل هذه الخدمة التي ينتظرها الناس من وقتٍ لآخر. وتطورت مهنة رواية الأخبار مع مرور الزمن حتى ظهر ما يُسمى ب (**أوراق الأخبار**)، وهي تؤدي نفس الغرض، ولكنها تختلف في طبيعة بث الرسالة حيث يستعيضُ الإنسانُ عن الأداء الصوتي بعنصر الكتابة وتعليق المكتوب على جذع شجرة أو حائط أحد المباني في المكان المكشوف للناس.

وإذا كان دور رواة الأخبار يشبه دور مذيعي الراديو والتلفزيون في زماننا الحاضر فإن دور أوراق الأخبار يشبه إلى حدٍ كبير دور الصحف الورقية التي عمت كل أرجاء الدنيا في مراحل لاحقة لتطور أدوات الاتصال الإنساني والإعلام الجماهيري.

الحواس البشرية كقنوات اتصال

أجمع علماء الاتصال على أن حواس الإنسان الخمس تعتبر قنوات هامة للاتصال. ولذلك فهي تلعب دوراً أساسياً في العمليات الاتصالية لاسيما الاتصال الثنائي. وتتفاوت الحواس في إدراكها حسب طبيعة تكوينها ومقدرتها على الإدراك. وقد قسمها العلماء وفقاً للنسب المئوية التالية:

1/ حاسة البصر. تشكل 83٪

2/ حاسة السمع. تشكل 11٪

3/ حاسة الشم. تشكل 3.5٪

4/ حاسة اللمس. تشكل 1.5٪

5/ حاسة الذوق. تشكل 1٪

ولما كانت حاسة البصر التي وسيلتها العين تشكل أكبر نسبة للإدراك بين الحواس فقد اعتمدت عليها أجهزة الاتصال الجماهيرية بشكل كبير في توصيل الرسالة الإعلامية للمتلقين. تشاركها في ذلك وسيلة السمع.

ولذلك تطورت أساليب الخدمات عبر وسائل الاتصال المقروءة والمرئية والمسموعة لتجعل من العملية الإعلامية متعة للنظر والأسماع خصوصاً بعد التطورات العديدة التي تجاوزت الأساليب التقليدية في الإعداد والإخراج.

وبالطبع فإن الأسلوب التقليدي القديم كان يعتمد بشكل أساسي على تقديم المواد الإعلامية بشكل أقرب إلى نهج المحاضرات المطولة وإلقاء المعلومات المجردة بغرض التلقين والاستظهار والحفظ الذي نراه بقاعات الدراسة التقليدية.

ووفقاً لهذا الأسلوب الحديث في البرمجة والإخراج فإن جذب وإقناع المتلقي قد أصبح المحور الرئيسي للعملية الإعلامية عبر كل الوسائل المقروءة والإلكترونية، مما صبَّ عليه كل تركيز الباحثين والإعلاميين على تطويرها لجذب المتلقي.

عناصر العملية الاتصالية

تتكون العملية الاتصالية من ستة عناصر رئيسية هي:

1. المرسل Sender **أو المصدر** Source :

ويرمز له بحرف (S)، وهو المنبع الذي تخرج من الرسالة. وهو قد يكون محطة إذاعية أو تلفزيونية أو دار نشر أو معلم الخ..

2. المستقبل Receiver **أو المتلقي** Recipient :

ويرمز له بحرف (R)، وهو قد يكون مستمعاً أو مشاهداً لبرامج تلفزيونية أو سينمائية أو قارئاً لكتاب أو صحيفة أو مجلة الخ..

3. الرسالة Message

وهي محتوى المادة المقدمة من المرسل إلى المتلقي. وهي قد تكون نشرةً للأخبار أو برنامجاً تلفزيونياً أو درساً تعليمياً، أو محاضرة الخ..

4. القناة Channel

وهي وسيلة التوصيل التي تصل من خلالها الرسالة من المصدر إلى المتلقي بشكلٍ يُمكنه من استيعاب هذه المادة المرسلة. وقد تكون القناة سمعيةً مثل الراديو أو مقروءة كالكتاب والمجلة والصحيفة أو

بصرية مثل الصورة والملصقة أو مشتركة سمعية وبصرية مثل التلفزيون أو السينما أو ما شابههما.

5. التغذية الراجعة Feedback

تعتبر التغذية الراجعة إحدى العناصر الهامة في العملية الاتصالية. حيث يمكن تفسيرها برجع الصدى أو رد الفعل المباشر للمادة المقدمة. ومن خلال هذه التغذية الراجعة يتعرف المرسل على مردود رسالته ووقعها أو تأثيرها على المتلقي.

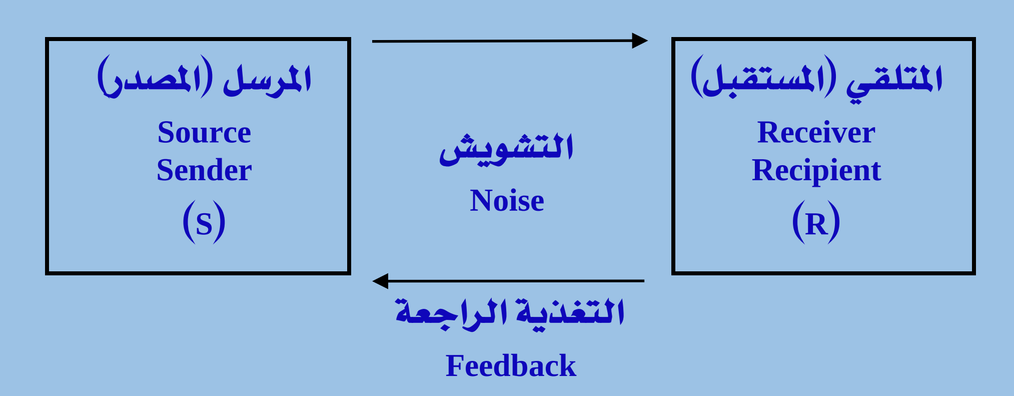
وتنبع أهمية هذا من خلال استفادة المرسل من هذه النتيجة ووضعها في الاعتبار عند تقديم معلومات أخرى أو برامج لاحقة للمتلقي. كما أنها تعطي المرسل صورة واضحة عن طبيعة التلقي. وهي قد تكون في صورة أسئلة من المتلقي يوجهها للمرسل الذي يجد فرصة للإجابة عليها أو توضيح رأي حول المادة الإعلامية أو تجاوب مع دعاية أو إعلان مقدم من خلال الجهاز الإعلامي.

6. التشويش Noise

وهو العنصر الأخير المصاحب للعملية الاتصالية. ويقول عالم الاتصال الشهير هارولد لاسويل Harold Laswell لا توجد عملية اتصال مكتملة، حيث لا بد أن تشوبها شائبة تنقص منها. وقد يكون النقص من ناحية المرسل مثل الأخطاء المصاحبة لتقديم أو بث

المعلومات، أو من جانب القناة مثل ضعف أجهزة الإرسال أو الاستقبال، أو من جانب المتلقي الذي قد لا يدرك كل جوانب الرسالة أو تفوته بعض المعلومات بسبب انشغاله بالتفكير في بعض الأمور أثناء تقديم المادة الإعلامية أو عند وصول الرسالة إليه.

ولتوضيح العملية الاتصالية ننظر إلى الرسم التالي:



إنَّ عملية صياغة الرسالة الإعلامية واختيار القناة المناسبة لها تحتاج إلى معرفة دقيقة بالمتلقي الذي هو غاية العملية الإعلامية. ومعرفة المتلقي تقتضي معرفة مستواه التعليمي وقدراته الاستيعابية ودافعيته نحو التلقي. حيث إن معرفة هذه العناصر الثلاثة تساعد على اختيار شكل الرسالة ومحتواها وكيفية

توصيلها إليه. كما أنه لا بد من اختيار الوقت والمكان المناسبين لتقديم الرسالة الإعلامية للمتلقي. ولذلك لا بد من إلمام المصدر بالخبرات التعليمية بأشكالها المختلفة حتى يتمكن من معرفة الأساليب والوسائل المناسبة لتقديم برامجه بالشكل الذي يروق للجمهور باختلاف مشاربه. وهو في ذلك مطالب بالاستفادة من كل المعطيات التي أمامه والتي تساعد على إنجاح العملية الإعلامية.

التداخل بين مفهوم القناة والمصدر والرسالة

لقد ظهر من خلال استقراء المسار العملي لقنوات الاتصال الجماهيرية شيء من الخلط في التفريق بين مفهوم القناة والمصدر والرسالة. وقد حدث هذا التداخلُ في جميعِ وسائل الاتصال الجماهيرية المعروفة التي صعب فيها التمييزُ بين القناة والمرسل والمتلقي في بعض الأحيان.

ويتضح هذا التداخل بشكلٍ جلي عندما نقوم بتحليل أي عملية اتصالية تستخدم وسائل الاتصال الجماهيرية إلى عناصرها الأساسية. فالوسيلة تكونُ قناةً ومَصدراً، وتكون مُرسِلاً في نفس الوقت. والقناة تُصبحُ مُتلقياً Receiver في كثيرٍ من الأحيان. بل إنَّ المرسل نفسه يُصبحُ متلقياً عندما يتحول المتلقي إلى مُرْسِل في

عملية الاتصال الثُنائي من خلال رجع الصدى Feedback في الرسالة المبثوثة عبر وسائل الاتصال. وندلل على تفسير هذه الظاهرة بمثالٍ بسيط نأخذه من جهاز الراديو الذي نفتحه لمتابعة البرامج، حيثُ يمكننا أن نطرح سؤالاً هل الراديو قناةٌ Channel أم مُستَقْبِل Receiver؟ وبقليلٍ من التأمل نكتشف أنه الإثنانِ معاً. وذلك بأنَّ جهاز الراديو يُعتبر المُستقبل الذي يلتقطُ الرسالة المبثوثة من محطة الإرسال الإذاعي Rradio Station وهذا لا خلاف عليه بحكم أنَّ العديدَ من المراجع العلمية قد أشارت إليه ومنها كتاب وسائل الاتصال الجماهيرية للكاتب الأمريكي جون فيفيان John Vivian وكتاب المدخل إلى وسائل الاتصال الجماهيرية لجوزيف دومنيك Joseph Dominick وغيرها. وهو في نفس الوقت قناةُ توصيل بالنسبة للمتلقي الحقيقي للرسالة وهو (الإنسان) الذي يستمعُ إلى هذا البرنامج.

ولا شكَّ أنَّ الإنسان وحده هو مناط هذه الرسالة الإذاعية وليس جهاز الترانزستور الموضوع على الطاولة، بدليل أنَّ التأثير المطلوب والذي يظهر من خلال تغيير السلوك، وفهم الرسالة، والانسجام مع البرامج أو رفضها، وردود الفعل الناتجة عن ذلك، تنبع كُلُّها من الإنسان وليسَ من الآلة التي تتحول إلى قناة وليس مُستَقْبِل في هذه الحالة. إذن فالراديو هو قَناةٌ وهو مُستقبلٌ في نفس الوقت. بل ويمكن أن نذهبَ إلى أبعد من ذلك ونعتبر الراديو

مَصْدَراً أيضاً. صحيح أنَّ المصدر هو محطة الإرسال الإذاعية أياً كانت، ولكنْ لا بُدَّ من توضيح أنَّ اعتبار المحطة الإذاعية كمصدر يقتضي النظر إليها من زوايا عناصرها المتكاملة، وهي التي تتداخل فيما بينها لتُعطي تعريف المحطة.

وهذه العناصر هي الإنسانُ الذي يقرأُ المادة الإذاعية من داخل غرفة الإرسال، ثم مجموعة الأجهزة الكهربائية المتداخلة في بعضها مثل الأستديو، وجهاز المراقبة، وجهاز الإرسال، والهوائي المستخدم في نقل الذبذبات الصوتية إلى طبقة الآينوسفير، ثم جهاز الالتقاط الذي يُكمل هذه الدورة والذي بدونه لا يستقيمُ أمر الرسالة الإذاعية.

وهذه العناصر تُكملُ بعضها بعضاً، وغيابُ أيِ واحدٍ منها يجعلها قاصرةً عن أداء دورها. إذنْ فجهازُ الراديو في هذه الحالة ليسَ مُستقبِلاً فقط وإنما هو عُنْصُرٌ مُكمِلٌ لجهاز الإرسال الذي يستهدفُ الإنسان. وبذلك تكون كل هذه الأدوات عناصر لعنصر واحد هو المُرْسِل. وفي هذه الحالة يمكن اعتبارُ الهواء هو القناة الناقلة للرسالة.

كما يمكن اعتبارُ المايكروويف أو الموجات الأثيرية أو شبكة الإنترنت التي تمثل في مجموعها قنواتٍ تصل المرسل بالمستقبل. ولذلك يقولُ الإنسانُ: سمعت هذا النبأ من الراديو، كأنما الراديو الذي هو جهاز الاستقبال يُعتبرُ مصدرَ المعلومات لهذا المتلقي، وهذا

صحيحٌ بلا شك. إذن فإنَّ قضية التداخل في هذه العناصر الثلاثة تجعلنا نفهم بسهولة إشكالية التمييز بين العناصر في وسائل الاتصال الجماهيرية. وقد أصبح من الصعوبة وضعُ حدودٍ واضحة تميز مختلف أساليب الاتصال نظراً للتداخل بين منهج عمل كل منها. أي أن الفروق بين هذه الأساليب ليست فروقاً عمليةً واضحة، ولكنها فروقٌ فلسفية في أغلب الأحيان.

فإذا قيل إنَّ الاعلام عقلي والدعاية انفعالية في أسلوبها، نجد الداعية يستخدم أحياناً أسلوبَ الفكرِ المنطقي، كما أنَّ كثيراً من الأخبار والمعلومات التي تُعتبرُ عناصرَ إعلامية يعزوها التفكيرُ العقلي والتسلسلُ المنطقي، ويَطْغَى عليها أحياناً أُسلوبُ التهويل والضخامة المفتعلة.

أشكال الاتصال البشري

إذا نظرنا لعملية الاتصال البشري من زاويتها الشكلية فإننا نجدها قد شملت العديد من الصور التي درج علماء الاتصال على تقسيمها إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي:

الاتصال الفردي Intrapersonal Communication

الاتصال الثنائي Interpersonal Communication

الاتصال الجماهيري Mass Communication

1/ الاتصال الذاتي Intrapersonal Communication

تتم عملية الاتصال الفردي في داخل نفس الإنسان، وذلك عندما يتحدث إلى نفسه متخيراً بين بعض الأشياء أو متخذاً قراراً ما في أحد الأمور. ويمكن أن نشرح ذلك بعملية بسيطة وهي أن يقف المعلم في غرفته قبل الذهاب إلى الفصل الدراسي ويبدأ في محاورة نفسه هل يا ترى آخذ هذا القلم الأحمر أم ذلك الأسود؟ وبعد قليل يقرر أن يأخذ القلمين معاً لأن توضيح بعض نقاط الدرس يحتاج إليهما معاً.

فمثل هذا التفكير والتساؤل ثم اتخاذ القرار يتم سراً داخل النفس البشرية، وهو ما يطلق عليه الاتصال الفردي Intrapersonal Communication. وتنبع أهميته في مجال الإعلام أو التعليم أو أي مجالات أخرى للاتصال في أنه يعتبر الخطوة الأولى قبل التخطيط أو التنفيذ لأي فكرة لبرنامج أو اتخاذ أي قرار سواء في الحقل الإعلامي أو غيره.

2/ الاتصال الثنائي Interpersonal Communication

يعتبر الاتصال الثنائي Interpersonal Communication أحد أشكال الاتصال البشري، وهو يتم عادةً بين شخصين يكون أحدهما مرسلاً والثاني مستقبلاً، ثم ما يلبث أن يتحول المرسل Sender إلى مستقبل Receiver والمستقبل إلى مرسل خلال العملية الاتصالية

التي تسمى في هذه الحالة بالمحادثة الثنائية Conversation. والاتصال الثنائي هو الذي اهتم به علماء الاتصال عندما وجدوا أهميته في توظيف التغذية الراجعة.

ومنه تطور أسلوب الخطب التي يحضرها جمع من الناس ليتعلموا منها ويستأنسوا بالمعلومات والأسلوب الذي تفضي إليه. وهي ليست اتصالاً ثنائياً بالمعنى الذي أشرنا إليه وإنما هي نمط من الاتصال الجمعي استفاد من خصائص الاتصال الثنائي الذي يجمع المرسل والمتلقي في مكان وزمان متحدين فيستفيد المتحدث والمتلقي من عنصر التغذية الراجعة الذي تنبني عليه مواصلة الرسالة.

وهذا النوع من الاتصال الإنساني أسماه البعض الاتصال المباشر Face to Face Communication حيث أصبح أكثر أنواع الاتصال أثراً من حيث السرعة. وقد استفادت منه العديد من قنوات الاتصال في تطوير أدائها.

وفي التاريخ كان اليونانيون قد وظفوه أيضاً من خلال خطبهم أما المسلمون فقد سبقوا كل الشعوب الغربية والشرقية على حدٍ سواء في استخدامه كوسيلة إعلامية لبث الرسائل، والأخبار، والدعاية، من خلال الخطب المنبرية وعبر المناظرات والمساجلات العلمية. حيث طوروه من مجرد نشر الدعوة إلى مرحلة تثبيت المعلومات وخلق التأثير والتغيير الاجتماعي والفكري

والسياسي من خلال المنبر الذي مثل أحد أهم وسائل الاتصال والدعاية المباشرة لدى أمة الإسلام. ووفقاً لمنظور علم الاتصال الحديث فإنَّ أسلوب الاتصال المباشر الذي يتم بين شخص وآخر هو أرقى وأجدى أشكال الاتصال الذي استنبط من الاتصال الثنائي Interpersonal Communication. حيث إن التغذية الراجعة Feedback في هذا النمط الاتصالي تكون آنية وملموسة، وتُفضي في الحال إلى ما يسمى بتوظيف رد الفعل في شكل رسالة معاكسة من الطرف المتلقي.

وهذا ما وصفه علماء الاتصال الغربيون بالاتصال الذكي Smart Communication عندما وضعوه في موازنة مع الشكل المعاكس للاتصال وهو الاتصال المتبلد Dump Communication. وقد أطلقوا عليه اسم الاتصال ذي المسارين Two way Communication. وذلك في مقابل الاتصال ذي المسار الواحد One way Communication الذي أثبت عدم فعاليته في نظم الاتصال الحديثة.

ووفقاً لذلك فقد أقر العلماء والباحثون أن كل وسائل الاتصال الإلكترونية التي ظهرت خلال السنوات القليلة الماضية إنما تسعى لتقريب خدماتها من شكل الاتصال المباشر الذي يتم فيه التفاعل وجهاً لوجه بين المرسل والمتلقي.

وعندما تكثفت الدراسات خرجت في نهاية المطاف بالنماذج المطروحة الآن في الأسواق لجعل الوسيلة الاتصالية مُتجاوبةً مع

الإنسان، ومُلبيةً لحاجاتِه، ومُجيبةً على تساؤلاتِه. وأقرب مثالٍ لذلك هو شبكة الإنترنت العالمية التي تلبي كل طلبات المتلقي، وذلك من فتح الصفحات المطلوبة، ثم طرح المعلومات، والرد على الاستفسارات، والمشاركة في ساحات الحوار.

وقد تطورت التجارب أكثر من ذلك عندما ظهر جهاز التليبيوتر Teleputer الذي جمع بين الكومبيوتر والتلفاز والراديو والفاكس والتلفون والكتاب الإلكتروني والمجلة والصحيفة والتسويق والإعلان في جهازٍ واحد. حيث يرتبط هذا الجهاز بشبكة متصله عن طريق الألياف الضوئية Fiber Optics لتقوم كل وحداته بتلبية رغبات المتلقين من خلال التخاطب المباشر مع الآلة.

كل ذلك لا يعدو أن يكون محاولة لتقريب هذه الأنماط الاتصالية من نمط الاتصال المباشر Face to Face Communication الذي برع المسلمون في استخدامه كأحد أساليب الإعلام والدعوة، مما كان له تأثيره القوي والذي أدى لتحقيق الهدف منه وهو نشر الإسلام في أمصار ما كان يُتوقع أن تدخل في إطار الدين لولا دقة الحجة والأسلوب الرصين.

3/ الاتصال المؤسسي Organizational Communication

يعتبر الإعلام المؤسسي والذي يُرمز له بعبارة (Org Comm) واحداً من أساليب الاتصال التي تتم داخل المؤسسات العامة. وهو يتكون

من جهود العلاقات العامة، والسكرتارية، ومكاتب الإعلام الداخلية بالمؤسسة، وشبكات الإنترنت الداخلية الخ... ويهتم بخلق الروابط بين الإدارة ومرؤوسيها بتوصيل الرسائل المتبادلة، وكتابة محاضر الاجتماعات، وعمل الجرائد الحائطية للعاملين، وإقامة الندوات والاحتفالات الداخلية الخ...

4/ الاتصال الجمعي Group Communication

يعتبر الإعلام الجمعي Group Communication واحداً من أشكال الاتصال، وهو يتحقق بوجود شخصٍ يتكلم أمام جمهور من الناس سواء في داخل قاعة أو مبنى أو في الفضاء الواسع. وهو يتحقق بحالات المحاضرات الأكاديمية أو الخُطب السياسية، أو خطب المنابر في المساجد أو الكنائس أو الأديرة المختلفة. ولا يقدح في كونه اتصالاً جمعياً إذا كان المتحدثُ واحداً أو أكثر مكن شخص. وهو أسلوبٌ يتيحُ التعلم بالتلقي المباشر للرسالة.

5/ الاتصال الجماهيري Mass Communication

يعتبر الإعلام الجماهيري Mass Communication واحداً من أهم أشكال الاتصال لأنه يقتضي وجود عدد من المتلقين للرسالة الإعلامية التي تأتي من المرسل. وله ثلاث خصائص رئيسية تميزه عن الاتصال الفردي والاتصال الثنائي وهي:

خصائص الاتصال الجماهيري

 أولاً: السرعة **Rapidness**

من خصائص وسائل الاتصال الجماهيرية أنها سريعة Rapid في أداء مهمتها إلى الحد الذي ينتفي معه عنصرُ الزمان في وصول الرسالة الإعلامية خصوصاً عندما ترسل عبر جهازي الراديو أوالتلفزيون الذين يختلفان عن وسائل الاتصال الأخرى من حيث الطبيعة وأسلوب العمل. حيث تصل الرسالة في نفس اللحظة التي تُبث فيها من جهاز الإرسال.

 ثانياً: وجود وسيط **Medium**

لا بُدَّ للإعلام الجماهيري من وسيطMedium يساعد في نقل الرسالة. وهذا الوسيط في المدلول الاتصالي هو القناة Channel التي عرفها العلماء بأنها أي وسيلةٍ أو أداةٍ تقومُ بتوصيل الرسالة من المرسل إلى المتلقي. وعلى المستوى الدلالي اعتبر علماء الاتصال اللغة كوسيط ناقل للفكرة والمعلومة. ومن ذلك كان التركيز المكثف على اللغة عندما بدأ علماء الاتصال دراسة ظاهرة الاتصال الإنساني طوال تطور حركة التأمل الفلسفي في الظواهر الاجتماعية.

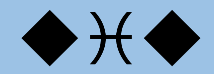
وقد نشر الفيلسوف البريطاني جون لوك John Lock في أواخر القرن السابع عشر مقالةً حول الفهم الإنساني أشار فيها إلى أهمية اللغة كوسيط للاتصال الإنساني تتحقق من خلالها أهداف ربط المجتمع ووصل أركانه. والقناة في نطاق الاتصال الجماهيري تشمل جميع الأجهزة المرئية والمطبوعة والمسموعة مثل الكتاب والصحيفة والراديو والتلفاز والإنترنت وغيرها من قنوات الإعلام المعروفة.

ولدى المسلمين قناة يُمكننا اعتبارها نموذجاً في عملية الاتصال المباشر وهي خطبة المنبر الموجود في كل مسجد. حيث إنَّ معالم القناة تتضح في المنبر بشكلٍ واضح بحكمِ أنَّ المرسل الذي غالباً ما يكون هو (الإمامُ) يُقدمُ رسالته إلى المتلقين وهم جمهور المصلين أو المستمعين للخطبة من فوق المنبر الذي يُعتبرُ وُجُودُهُ ضرورةً حتميةً بخُطبةِ الجمعة، وهو يحقق وجود القناة.

ثالثاً: التزامن في التلقي Simultaneousness

تتميز وسائل الاتصال الجماهيرية بأن رسالتها تصل إلى جميع المتلقين في آن واحد متزامنةً مع وقت الإرسال Simultaneously. وعند النظر إلى هذه الخاصية تظهر أهميتها في جانب الإرسال الألكتروني للراديو والتلفزيون. أما في مجال الكتاب والمجلة والصحيفة فإن المقصود بها ظهور الوسيلة الإعلامية في وقت واحد

وتوزيعها على المتلقين حتى وإن اختلف وقت تناول كل منهم للمادة الإعلامية المكتوبة بالصحيفة أو المطبوعة. ونفس الشيء ينطلي على الإنترنت الذي يخرج للجميع بالتساوي في آن واحد رغم أن الناس يختلفون في أوقات تصفحهم للمادة المعروضة وفقاً لظروف كل منهم.



الفصل الثاني

❊❊❊❊❊

التطور التاريخي لوسائل الاتصال

الفصل الثاني

التطور التاريخي لوسائل الاتصال

❄❄❄❄❄

الرموز الكتابية لدى السومريين Pictographs

كانت أولى محاولات الإنسان للكتابة والتعبير عما في نفسه أو وصف أي كائن تتم عن طريق رسم بعض الرموز الدالة على الشيء كرسم طائر أو إنسان أو شجرة ليدل على المحسوس. وبذلك كانت الرموز هي وسيلة التعبير الكتابي في بدايته.

ومع تطور الحياة أصبح هذا الشكل رمزاً مألوفاً يسجل الناس من خلاله أفكارهم التي اختصت كل أمة بنوع منها. وكانت تلك المحاولات الإنسانية قد استنبطت الرموز المرسومة التي تدل على المسميات مثل رسم دائرة وحولها خطوط خارجة من حول الدائرة لتعني الشمس، أو رسم أرنب صغير ليعني أرنب، أو خط رأسي صغير تعلوه دائرة ويتفرع منه خطان صغيران من أعلى وخطان صغيران من الأسفل ليعني إنسان وهكذا.

ومن أمثلة هذا في زماننا الحاضر رسم جمجمة إنسان وعليها خطان متقاطعان باللون الأحمر لتعني خطر. أو رسم سيارة صغيرة وعليها خط قاطع بالأحمر ليعني أنَّ الطريق مقفول، أو

رسم كف صغيرة تمسك بالقلم ليرمز إلى الكاتب أو مؤلف المقال وهكذا. وظهرت مع تطور الحياة رموز علمية مختصرة لنظريات مطولة أو أسماء كما حدث في العلوم والرياضيات والجغرافيا والموسيقى وغيرها. كما أنَّ هناك رموزاً أصبحت مألوفة في كل أنحاء الدنيا مثل رموز الحركة والتنبيه للخطر والممنوعات وغيرها، حيث أغنت الناس عن استخدام لغة الكتابة.

وقد لعبت الرموز دوراً هاماً في تبسيط العلوم وتسجيل الأشياء في الحياة المعاصرة مثلما لعبت ذلك الدور في الماضي عندما كانت هي الوسيلة الوحيدة لنقل المعلومات.

الحفر على الحجارة Carving in stones

كانت تلك الرموز البدائية تُنحت على الحجارة. وأقدم ما وصل إلينا منها هو الرموز التي نحتها السومريون في بلاد ما بين النهرين (دجلة والفرات) The Sumerians of Mesopotamia فيما سُمي البكتوغراف Pictograph. وكان ذلك في حوالي عام 3500 ق.م. وكان السومريون يحفرون تلك الرموز باستخدام آلة حادة للحفر قد تكون هي الأخرى حجراً من نوع أصلب.

ولم تكن هذه العملية ميسورة أبداً، حيث إنها تكلف وقتاً طويلاً لوضع الرسوم ثم حفرها على سطح الحجر، فضلاً عن الجهد الذي يبذله الإنسان في قطع الحجارة ونقلها من مكان إلى

آخر ثم محاولة تسوية سطحها وتنعيمه ليتقبل النقش عليه. ولذلك فكر الناس بمرور الوقت في وجود مادة بديلة للحجارة تساعد على حمل هذه الرسائل المحفورة من مصدرها إلى المتلقي الذي نُحتت من أجله.

النقش على طين الصلصال Imprinting in clay

لجأ الناس إلى استخدام طين الصلصال Clay للنقش عليه ثم حفظ المخطوطات بشكل بدائي. وكان هذا البديل الذي لجأ إليه القدماء لحمل الرموز أيسر كثيراً من الحجارة. حيث يسرت طبيعة الطين المرنة على تشكيله ومعالجته حتى يصبح ألواحاً مستوية وطائعة يرسم عليها الإنسان ما يشاء من الرموز ثم يتركها لتجف.

ورغم أن الطين لم يكن بالرقة والخفة المثلى إلا أنه كان حتماً أخف من الحجارة وأكثر سهولة ودقة في حمل الرموز الكتابية.

ورق البردي في مصر Papyrus

في حوالي عام 2500ق.م صنع قدماء المصريين ورق البردي. وهو لفافات وشرائح تشبه الورق رغم خشونتها وبدائيتها. وكانوا يصنعونها من نبات البردي الذي يسمى Sedge وهو نبتة صغيرة

أشبه بالعشب الذي تأكله الحيوانات كانت تنمو في دلتا النيل. وقد كان لهذه النبتة من الخصائص ما جعل قدماء المصريين يستخدمونها في صناعة ورق البردي، حيث كانوا يقطعون النبات ثم يجمعون أوراقه ويهرسونها في أوانٍ كبيرة حتى تُصبح كالعجين ثم يطرح هذا العجين على سطحٍ مستوٍ ويرقق بالضغط المستمر عليه بواسطة أجسام أسطوانية أو بعض العيدان حتى يتحول إلى شرائح رقيقة تُترك لتجف وتستخدم في الرسم أو الكتابة. ولما جاء الرومان إلى مصر أُعجبوا بهذا البردي ونقلوه إلى أوربا.

جلود الحيوانات Parchments

في محاولتهم لوجود بدائل للحجارة والطين وغيرها طوَّر قدماء الإغريق بعض جلود الحيوانات التي تؤخذ من الأغنام والضأن وأعدوها بشكل جيد بعد نزع الأصواف منها باستخدام بعض الكيماويات بغرض تنظيفها وتنعيم سطحها ثم استخدامها في الكتابة. وقد أُطلِقَ عليها اسم بارشمنت Parchment.

وكان ذلك في حوالي عام 200 قبل الميلاد، ولكن لم تعرفها بقية البلاد الأوربية إلا في حوالي عام 100 ميلادية. وقد جاء هذا الاستخدام المتأخر نسبياً للجلود عندما دعت الحاجة إليها في اليونان قبل أن تنتشر في أوربا وما جاورها. وما يزال بعض الناس يستخدمونها إلى اليوم لأغراض الكتابة أو الرسم ليس لقلة الورق

وإنما لخصائصها الفنية التي أدركها الفنانون والخطاطون الذين صنعوا منها لوحات جميلة درت عليهم الكثير من الأموال. وبهذا الأسلوب ظلَّ الإنسان باحثاً عن وسائل تعينه على نقل المعارف وتوثيق المعلومات مما أفضى إلى وجود كثير من الآثار التي تشهد على الحضارات البشرية المختلفة.

وبين هذه الآثار مخطوطاتٌ لكتب على الحجارة ومنحوتات على الخشب وعلى جلود الحيوانات والعظام والفخار كالكتابة المسمارية في حضارة بابل القديمة وأشور على ضفاف نهري دجلة والفرات والمخطوطات الإسلامية التي اعتمدت على المواد البدائية مثل العظام واللخاف والخشب والجلود وغيرها.

الورق في الصين Paper in China

كان الصينيون هم أول من صنع الورق في العالم وذلك في عام 300م. وقد حفظوه سِراً لديهم على مدى القرون، ولم تعرفه شعوبُ أوربا إلا بعد مرور ألف عام كاملة عندما نقله المسلمون إليها عن طريق الأندلس في عام 1300م.

وكان المسلمون الذين انتشروا في الأمصار حتى أقصى جنوب شرق آسيا ناشرين دين الإسلام وباحثين عن موارد تجارية للتبادل والتعامل مع غيرهم من الشعوب قد وجدوا هذا الورق في سمرقند التي انضمت لدولة الخلافة الإسلامية خلال الحملات

الدعوية. وأطلقَ المسلمونَ عليه اسم (الكاغد) ثم استخدموه لأغراض التعليم والدعوة، ونقلوه إلى أوربا.

ثورة الاتصال الأولى

رأينا كيف أن السومريين قد استنبطوا الرموز لتعبر عن الفكرة، ولكن بمرور الوقت ثبت أن الرمز المرسوم ليس كافياً للتعبير عن كل شيء. فهو محدود جداً ولا يعبر إلا عن المحسوسات كالشمس والإنسان والشجرة والحيوان وما إلى ذلك.

أما إذا أراد الإنسان أن يعبر عن الأحاسيس أو الأوامر والنواهي وغيرها فلا يمكن للرسم الرمزي أن يعبر عن ذلك بدقة. مثل قولنا أنا أحب فلاناً أو سآتي إليك بعد غدٍ، أو كيف حالك يا أخي؟ كلها أشياء يصعب التعبير عنها بالرسوم أو الرموز ولذلك رأى القدماء وعلى رأسهم قدماء المصريين أهمية الاستعاضة عن هذه الرموز بالحروف Phonetics.

وبالفعل استنبطوا حروفاً للهجاء حلت محل الرموز لتشير بدورها ألى أصوات معينة. وجاراهم في ذلك العديد من الشعوب فظهرت الحروف في كثير من اللغات وسهلت على الناس مشقة التعبير الكتابي. وعندئذٍ أصبح بمقدور المعرفة أن تنتقل إلى جمهور جديد من المتلقين المتفرقين في أماكن مختلفة. وقد اعتبر العلماء

ذلك التحول من الرسوم الرمزية إلى أحرف الهجاء بمثابة الثورة الأولى للاتصال في الأرض.

ثورة الاتصال الثانية

مع تطور الحياة واستخدام الكتابة بدأ طلب المعرفة يزداد بازدياد الذين أحبوا العلم. وكانت الوسيلة الوحيدة هي كتابة المخطوطات باليد بواسطة الخطاطين Scribes. وكانت العملية الكتابية مليئة بالمشقة والعنت لأن الخطاط يقضي أياماً وشهوراً بل وأعواماً لوضع نسخة أو نسختين من مؤلف واحد إذا كان كبير الحجم.

ووسط تلك الظروف الصعبة خرج الألماني يوحنا جوتنبرج Johannes Gutenberg باختراعه لآلة الطباعة المتحركة في عام 1455م، والتي طورها من ماكينة صغيرة كان يستخدمها لصنع الخمور. وكان أول ما طبعه على تلك الماكينة هو نُسخ من الإنجيل لم تزل توجد منها 47 نسخة بالمتاحف اليوم.

وكان الصينيون قد بدأوا تجاربهم الباكرة لاستخدام الألواح الخشبية في الطباعة منذُ القرن السادس الميلادي أي قبل 200 عام من اختراع جوتنبرج للمطبعة المتحركة. وقد بدأها الصينيون باستخدام ألواح خشبية للطباعة، حيث كانوا يحفرون عليها النصوص ثم يضعون فوق سطحها الحبر ويمررون عليها

شرائح الورق فتنطبع على سطح الورقة ثم يأتون بورقة ثانية وثالثة وهكذا. وتطورت تلك التجربة في عام 1445م على أيدي الصينيين الذين حولوها من ألواح الخشب إلى ألواح النحاس ذات الكفاءة العالية عندما تبينت لهم عيوب الخشب في امتصاص الأحبار.

ورغماً عن ظهور الطباعة لدى الصينيين في وقت مبكر إلا أن علماء الاتصال قد أرجعوا تاريخ ثورة الاتصال الثانية إلى عام 1455م الذي اخترع فيه الألماني يوحنا جوتنبرج Johannes Gutenberg آلة الطباعة المتحركة.

وكان الأجدى أن تعتبر الصين بادئةً لهذه الثورة بحكم السبق التاريخي والتجربة الرائدة التي وضعت أسساً ونمطاً لحركة الاتصال في وقتٍ مُبكرٍ يجدر تسجيله. ولكن لم يشفع كل ذلك لها لكي يعتبرها الغربيون بادئةً لثورة الاتصال الثانية، وإنما اعتبروا تجربة الألماني جوتنبرج هي بداية الثورة.

ثورة الاتصال الثالثة

اعتبر العلماء ظهور الكومبيوتر بمثابة ثورة الاتصال الثالثة. وذلك بما أحدثه الكومبيوتر من ثورة حقيقية في عالم الاتصال حيث أصبح قاسماً مشتركا في العمليات الاتصالية بكل وسائل الاتصال الجماهيرية. ولا نكاد نجد صحيفة أو مجلة أو كتاباً في عالم اليوم إلا وهو يستخدم الكومبيوتر في الطباعة

والتصميم والإخراج بل والتوزيع. وكذلك البرامج الإذاعية والتلفزيونية التي استغنت عن أساليبها القديمة مفسحة المجال للكمبيوتر لكي يساعد في التسجيل وفي المونتاج والمكساج والبث على الهواء.

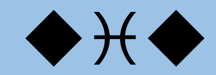
وبحلول الكومبوتر محل الأجهزة القديمة ظهرت الأجهزة الرقمية التي طورت تكنيك العملية الاتصالية إلى أبعد الحدود. فضلاً عن ذلك فإن الأقمار الصناعية Satellite والألياف الضوئية Fiber Optics والإنترنت Internet قد جعلت من المستحيل ممكناً بحكم اختصارها للجهد والوقت والمال في توسيع الخدمات وتسهيل وصولها للمتلقي في أسرع وقت وبأشكال مختلفة.

وإذا عدنا للوراء قليلاً نجد أنَّ المسلمين القدماء كان لهم فضل استنباط ما يعرف اليوم ببنوك المعلومات من خلال إنشاء مكتبات المستنصرية في العراق، والزيتونة في تونس، والقرويين في المغرب، والأزهر في مصر، ومسجد غرناطة في الأندلس. وكانت هذه المساجد النواة الأولى للجامعات في العالم وهي أيضاً النواة الأساسية لبنوك المعلومات الحاضرة في كل أنحاء العالم.

وقد ابتدع المسلمون أيضاً أدب الرسائل الذي كان وسيلة إعلامية في غاية الأهمية، وصنعوا السفارات لأول مرة في التاريخ، ونسخوا المخطوطات التي حوت كل المعلومات المتعلقة بحياة الفرد في مجالات القانون، والسياسة، والطب، وعلم الفلك، وعلوم البحار،

واللغويات، والترجمة. ونقلوا ذلك عن طيب خاطر إلى أوربا عبر الأندلس التي أصبحت منارة للعلوم وصل إشعاعها إلى كل أنحاء أوربا بفضل علماء المسلمين وأمرائهم الذين أسهموا في النهضة إلى حين سقوط غرناطة.

والمسلمون هم الذين علموا الناس نقل المعارف عبر المساحات الجغرافية من خلال الفتوحات الإسلامية ونشر الثقافة والمعرفة من خلال نشر الدين والحملات الدعوية. وكان كل ذلك في تجرد ونكران ذات لم يكن دافعه غير إرضاء الله سبحانه وتعالى بنشر الدين والمعرفة والفضيلة بين البشر.



الفصل الثالث

❄❄❄❄❄

نشأة وتطور الإعلام المكتوب

الفصل الثالث

نشأة وتطور الإعلام المكتوب

❄❄❄❄❄

الكتاب: تطوره، وأهميته

عندما نستمع إلى كلمة كتاب فإن أول ما يتبادر إلى أذهاننا هو الكتاب بشكله المألوف لدينا كوسيلة إعلامية وتعليمية تعارف الناس عليها في شكل أوراق مغلفة تحوي نصوصاً أو أي مادة مقروءة أو مصورة ولها عنوانها، ومؤلفها، وناشرها، وطابعها إلى غير ذلك من خصائص الكتاب المعروفة.

ولكن عندما نعود إلى مفهوم الكتاب في النصوص الدينية فإننا نجد عبارة أهل الكتاب التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وهي تعني اليهود والنصارى إشارة إلى الكتب التي أنزلت عليهم وهي التوراة والإنجيل. ولكننا نعلم أنَّ سيدنا موسى عليه السلام لم يتسلم كتاباً مخطوطاً من جبريل عليه السلام ليقدمه إلى أتباعه.

كما أن عيسى عليه السلام لم يتسلم كتاباً ملموساً يسمى الإنجيل، بل وحتى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم لم يتسلم من جبريل كتاباً محسوساً يُسمى القرآن

وإنما كان الذي تلقوه هو آيات وأحكام ونصوص أنزلها الله سبحانه وتعالى على أنبيائه عن طريق أمين الوحي جبريل عليه السلام. ثم جمعت هذه الآيات والنصوص ودُونت ثم طبعت بعد وفاة هؤلاء الأنبياء جميعاً عليهم السلام. ومن هذا يمكننا أن نفهم أنَّ مدلول الكتاب يذهب إلى الدين السماوي الذي نزل على تلك الأمم.

والمدلول الثاني لكلمة كتاب في القرآن الكريم هو سجل أعمال الناس الذي يقدمه لهم الحق عزَّ وجلَّ يوم القيامة حاوياً كل صغيرة وكبيرة، حيث جاء ذلك في قوله تعالى في سورة الانشقاق الآيات من 7 -12: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ❖ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً ❖ وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً ❖ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِهِ ❖ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً ❖ وَيَصْلَى سَعِيراً**﴾.

وورد لفظ الكتاب لمدلول الإرادة الربانية في الآية (22) من سورة الحديد في قوله تعالى: ﴿**ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير**﴾. وورد في الآية (7) من سورة ن قوله تعالى: ﴿**كلا إن كتاب الفجار لفي سجين**﴾، وفي الآية (9) من سورة المطففون: ﴿**كتاب مرقوم**﴾، والآية (37) من سورة القلم: ﴿**أم لكم كتاب فيه تدرسون**﴾، والآية (1) من سورة إبراهيم: ﴿**الر، كتابٌ أنزلناه إليك**

لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد﴾، والآية (4) من سورة الحِجر: ﴿**وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتابٌ معلوم**﴾. وقد استُخدم لفظ كتاب في الآيات السابقة بمعانٍ مختلفة. أما الكتاب بمدلوله الإعلامي الذي هو وسيلة اتصال جماهيرية فهو موضوع دراستنا في هذا الفصل. وتنبع أهمية الكتاب بهذا المفهوم من كونه وسيلة إعلام وتعليم. ولولاه ما عرفنا الله ولا الأديان ولا ما حدث في تاريخ الأمم السابقة.

ظهور الكتاب في المجتمعات القديمة

لم تعرف المجتمعات القديمة الكتاب بشكله المعروف لدينا اليوم ولكن تقول كتب التاريخ إنَّ أقدم مبيعات المواد المقروءة التي عرفتها الأمم القديمة هي التي ظهرت في بلاد اليونان والتي قام ببيعها أو تأجيرها تلاميذ إفلاطون Plato الذين كانوا يبيعون مخطوطات عن محاضراته.

وبحلول عام 400 قبل الميلاد كانت أثينا تعتبر عاصمة الثقافة في بلاد اليونان والمركز الرئيسي لإنتاج وبيع ملفوفات الورق الطويلة Scrolls وورق البردي Papyrus التي تعتبر بمثابة الكتب في ذلك الزمان. وكان بائعو الكتب الأوائل في أثينا يصنعون كتبهم بأنسهم ولكنهم سرعان ما استأجروا خطاطين لإعدادها.

ولم يكتفوا ببيعها وتأجيرها فحسب بل كانوا يجتهدون في توفير فرص للقراءة لمن يرغب في داخل متاجرهم مقابل أجر يدفعه القراء. ومن أقدم الكتب التي كشفت عنها الحفريات في مصر من تلك الشاكلة هي الكتب التي قام خطها المصريون القدماء ويرجع تاريخها إلى القرن الثالث قبل الميلاد. وهي عبارة عن صحائف ملفوفة مصنوعة من ورق البردي.

وكان الناس يسمون تلك الكتب (كتب الموتى) لأنها كانت في الغالب تحوي مناقب الموتى من ملوك وأمراء الفراعنة. وكانت عليها كتابة بالأحرف الهيروغلوفية ورسومات يدوية يستخدمون فيها بعض الألوان الترابية.

وكانت تلك الملفوفات تتفاوت في أطوالها، وتوجد اليوم منها بمتحف لندن بإنجلترا نسختان من أطول ما وُجِدَ من تلك المخطوطات وطولها 40, 5 متراً أي (133 قدم)، ثم مخطوطة ثانية ترجع إلى العهد الهيليني Hellenistic Era (وهو الممتد من القرن الرابع إلى القرن الأول قبل الميلاد)، حيث قسم هذا الكتاب إلى قطع أصغر طول الواحدة 10 أمتار (35 قدم) وقد تم حفظ كل الأجزاء في صندوق واحد.

وكانت ملفوفات الكتب القديمة توضع داخل علب تحوي كل أجزاء الكتاب وتلصق عليها ديباجة مكتوب عليها عنوان الكتاب واسم المؤلف. وكان الخطاطون يعدون نسخاً مختلفة من تلك

الكتب إما عن طريق نقلها من الأصول الأساسية كالجلود أو المخطوطات أو غيرها أو عن طريق إملاء المادة عليهم وكتابتها على السطح المستخدم وهو غالباً ورق البردي.

الكودكس Codex

لقد شهد القرن الرابع الميلادي تتويجاً لجهود بدأت منذ القرن الأول حيث استطاع الإغريق تطوير الملفوفات التقليدية Scrolls إلى شكل أقرب إلى كتبنا التي نستخدمها اليوم وهي تسمى (كودكس Codex). وكلمة كودكس Codex تعني (كتاب) في اللغة اللاتينية.

وكان الكودكس قد استخدم في بدايته بواسطة الإغريق والرومان لأغراض تجارية كدفاتر الحسابات التي تحوي تفاصيل البيع والشراء والديون الخ... كما استخدم لأغراض تعليمية أيضاً حيث ظل الدارسون يكتبون عليه ما يمليه عليهم المعلمون. وهو يحوي غلافاً وعدداً من الصفحات التي تجمع مع بعضها في شكل أقرب إلى الملفات التي نستخدمها اليوم.

وكانت الصفحات تُطلى بنوعٍ من الشمع بغرض الكتابة على هذا السطح الشمعي بأقلام أقرب إلى أدوات الحفر الرفيعة. وإذا أراد الإنسان مسحها فما عليه إلا تمرير آلة على هذا الشمع الخارجي فيمحي ما بها من كتابة ليتم استخدامها مرةً أخرى.

طباعة الكتب قديماً

كانت طباعة الكتب قديماً أمراً شاقاً بحكم أنها تستخدم نوعاً من الطباعة التي يكون سطحها مرتفعاً كالحروف المعدنية والأكليشيهات، وهي الطريقة التي لجأ إليها جوتنبرج في أول تجاربه، وهي أيضاً التي لجأ إليها الصينيون في مراحلهم الأولى.

أما الحروف المعدنية فلها أشكال وأحجام متعددة تقاس بالبنط. فمثلاً الكتب تعمل ببنط 16 أو 18 والعناوين الكبيرة ببنط 20 إلى 24. وتصف الحروف في الماضي يدوياً ولها صناديق لكل نوع، ويوجد في كل قسم مجموعة من نفس الحرف.

وهناك جمع آلي في أجهزة أو آلات ضخمة تسمى الإنترتايب Inter type والمونوتايب Mono Type. حيث يصهر المعدن الذي تصب منه الحروف في داخل الآلة، ويجلس العامل أو الفني ومعه المخطوطة ثم يقوم بضرب حروفها على الآلة فتنزل الحروف من الجانب الآخر مضغوطة ويوجد داخل الآلة قوالب لهذه الحروف، وبمجرد أن يضرب العامل على الحرف ينزل القالب إلى مكان خاص ثم تنزل عليه كمية من المعدن المنصهر ليأخذ شكل الحرف ثم ينزل إلى الخارج.

وكانت هناك ماكينات تجمع الحروف في سطور ملتصقة.

أمام الأكلشيهات فهي عبارة عن صور محفورة على سطح من النحاس أو الزنك بواسطة الأحماض. والطريقة هي تصوير الأصل

على فيلم بيوغرافي بواسطة آلة تصوير ميكانيكي. فهناك أصل خطي وهناك أصل ذو درجات مستمرة كالصور الفوتوغرافية حيث يصور الأصل الخطي على فيلم مسطح بالحجم المطلوب تكبيره أو تصغيره.

وتؤخذ هذه السوالب Negative وتوضع فوق قطعة من الزنك أو النحاس أو أي مادة أخرى تصنع منها أدوات الطباعة، شريطة أن تكون مستوية السطح بعد تحسيسها بمادة حساسة للضوء مثل بيكرومات البوتاس Potassium Bicarbonate الذائبة في وسط من الغراء.

بعد ذلك يتم ضغط الفيلم على قطعة النحاس تحت سطح الزجاج، ثم يُسلط الضوء عليها لمدة دقائق معدودة ثم بعد ذلك تخرج قطعة من النحاس وتعالج بأحماض حتى يتم حفرها. أما الصورة ذات الدرجات المستمرة فتصور على الفيلم بعد وضع شبكة زجاجية فوق الفلم.

فعندما تحصل على السالبة تجد الصور الناتجة عبارة عن نقط دقيقة متجاورة ومختلفة الأحجام. والغرض من ذلك أن السطح المستمر لا يمكن حفره على الأكليشيه، أما النقط فيمكن أن يتخلل الحامض الفجوات التي بينها فيتحقق الحفر. وكانت الحروف والأكلشيهات تُربط في إطار حديدي للمحافظة على ضبطها في العملية الفنية التي تُسمى (**التوضيب**).

طباعة الكتب في الصين

كان الصينيون هم أول من قام بطباعة الكتب بين سائر الأجناس البشرية، حيثُ بدأوا تجاربهم الباكرة لاستخدام الألواح الخشبية في الطباعة منذُ القرن السادس الميلادي أي قبل 200 عام من اختراع جوتنبرج للمطبعة المتحركة.

ففي عام 105م نجح رجل صيني يسمى تساي لون Tsai Lon في اختراع الورق من لحاء الأشجار وبقايا سيقان القطن. وهو أقرب إلى الورق الذي نستعمله اليوم حيث يقطع النبات إلى قطع صغيرة ثم يطحن بطاحونة ثم يمزج بالماء إلى أن يصير عجيناً ثم يفرد في هيئة صحائف تضغط ثم تصقل بعد أن تجف لتأخذ شكل الفرخ المستخدم في الكتابة.

وقد انتشرت صناعة الورق في الصين وما جاورها من البلاد. وقد بدأوا باستخدام تلك الألواح الخشبية والتي كانوا يحفرون عليها النصوص ثم يضعون فوق سطحها الأحبار ويمررون عليها شرائح الورق فتنطبع النصوص عليها. وبعد ذلك يأتون بورقة ثانية ويضعونها على اللوح فينطبع النص عليها وهكذا.

وتطورت تلك التجربة في عام 1445م على أيدي الصينيين أنفسهم عندما حولوها من ألواحٍ خشبية إلى ألواحٍ نحاسية ذات كفاءةٍ أعلى، وذلك عندما تبينت لهم عيوب الخشب في امتصاص الأحبار. ورغماً عن صعوبة التعامل مع الألواح الخشبية والنحاسية

التي اعتمدت على حفر الرموز والحروف، إلا أن الصينيين قد استخدموها بنجاح في طباعة عددٍ من الكتب على رأسها اثنان من أهم المخطوطات في التاريخ البشري هما، كتاب دايموند سوترا Diamond Sutra الذي طُبع في عام 868م، وحوى نصوصاً من الديانة البوذية، ثم كتاب التريبيتاكا Tripitaka الذي كان هو الآخر مخطوطاً بوذياً طُبع في عام 972م.

وقد وصل عدد صفحات هذا الأخير إلى 130.000 صفحة، ليسجل رقماً قياسياً لم يتأتَ لكتابٍ غيره على وجه الأرض. وكلا الكتابين موجودٌ الآن في المتاحف الصينية.

الطباعة المتحركة في أوربا

في بداية القرن الخامس عشر الميلادي توصل العالم الألماني جوهانس جوتنبرج Johanes Gutenberg لاختراع آلة الطباعة المتحركة Movable Type. وقد استخدم ماكينةً صغيرة كان يستخدمها في الماضي لعصر النبيذ وصناعة الخمور. وعندما قرر ابتكار الطباعة حول نفس الماكينة من عصر العنب إلى عصر الحروف المتحركة لتُطبع على الورق.

وكان جوتنبرج قد بدأ تجاربه بشكل تقليدي أولاً معتمداً على رسم بعض الحروف اللاتينية على قطع من الخشب في شكل

مقلوب ثم حفرها بمقطع لتكون بارزة ثم مسح على سطحها بحبر طباعي ووضع فوقها ورقة بيضاء وثقل من الحديد فانتقل الأثر إلى الورقة بوضوح تام. وكانت تلك أول محاولة للطباعة البارزة. ثم سار على هذا النمط حتى تمكن من صنع حروف مفرقة ومتحركة من الرصاص والقصدير. فكان يجمع هذه الحروف في أطواق ويربطها ثم يضعها في المطبعة التي تطورت ميكانيكياً، وصارت تطبع مئات النسخ في دقائق. وقد بدأ عمله بطباعة الإنجيل ظناً من الكنيسة التي مهدت له ذلك الأمر أنها تستطيع الهيمنة على الفكر وأدواته بذلك الشكل.

ولكن لم يكن لها ما أرادت حيث أسهمت الطباعة في نشر كل ألوان المعارف والأديان وفتحت مجالاً واسعاً لانتشار الثقافة في العالم بشتى ضروبها، وصار بإمكان أي شخص اقتناء الكتاب. وتطورت المطابع وأساليب الطباعة بعد أن جرت عليها الكثير من الإضافات والتحسينات.

المصحف الشريف

لم يظهر المصحف الشريف ككتاب إلا في عهد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه. وكان ذلك بعد تطورات حدثت طوال فترة الخلافة التي سبقته. حيث انتقل النبي صلى الله عليه

وسلم إلى الرفيق الأعلى تاركاً آيات القرآن محفوظة في قلوب الرجال الذين سمعوها منه حيةً بعد نزولها عن طريق أمين الوحي جبريل عليه السلام. وكان الصحابة يكتبون هذه الآيات على المواد المتاحة لهم من عظام ولخاف وحجارة وجلود وغيرها.

وبعد موته صلى الله عليه وسلم جاء سيدنا عمر بن الخطاب إلى الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وأشار عليه بجمع القرآن خوفاً من زواله بموت الحُفَّاظ الذين كانوا يستشهدون في الفتوحات والمعارك. واستنكر أبو بكر ذلك الرأي لأنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأمر به ولم يفعله. ولكنَّ عمر بن الخطاب قال له: (هذا والله خير).

ولدى إصرار عمر استخار أبو بكر الصديق حتى شرح الله صدره للفكرة فدعا زيد بن ثابت وطلب منه جمع القرآن، فرفضها زيد الأمر لنفس الأسباب التي صاغها أبو بكر عندما عرضها عليه عمر، ولكن لدى إصرار أبي بكر استخار زيدٌ اللهَ فشرح الله صدره وطابت نفسه للأمر فقام بجمع القرآن مع نفر من الصحابة الحافظين العدول.

واجتمع القرآن الذي لم يُسَمَّ مصحفاً وقتها لعدم اكتماله. وحفظه أبو بكر الصديق وعند وفاته آل إلى عمر بن الخطاب، ثم عندما توفي حفظته أم المؤمنين حفصة بنت عمر. بعد ذلك ظهر خلاف بين المسلمين الذين كانوا يحاربون الكفار في

أزربيجان أيام خلافة عثمان بن عفان. حيث كانوا يحاربون في النهار ويقرأون القرآن في الليل. وبدأت كل مجموعة منهم تقول إن قراءتها هي الأصح وغيرها لا يصح. وكثر جدلهم في ذلك الأمر، فجاء منهم مندوب إلى الخليفة عثمان بن عفان بالمدينة وقال له إن المسلمين يتجادلون حول القراءة وأخشى أن يفضي هذا بهم إلى التناحر والاقتتال فأمر عثمان بجمع كل ما لديهم من مخطوطات قرآنية وطلب من زيد مرة أخرى أن يقوم بمراجعتها وجمعها وتصنيفها حسب التسلسل الذي أمر به النبي صلى الله عليه وسلم والذي كان يأمر أصحابه بوضع كل آية تنزل في موضع كذا من سورة كذا.

وقال زيد عبارته الشهيرة: (**والله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أشق عليَّ مما كلفوني به من جمع القرآن**). ولكنه صبر على هذه المهمة الشاقة والعظيمة مستعيناً بعدد من الصحابة الحافظين حتى وضع المصحف بكامله بترتيبه المعروف اليوم. وحينها طلب الخليفة عثمان وضع أربعة نسخ من هذا القرآن الذي سُمي مصحفاً لأول مرة بعد جمعه مكتملاً.

بعد ذلك أمر الخليفة بحرق جميع النصوص التي سببت الخلاف بين المسلمين المقاتلين في أزربيجان. ووزع تلك النسخ على الأمصار الإسلامية بعد أن احتفظ بنسخة واحدة لنفسه ولذلك سُمي المصحف العثماني. وبالطبع فإن الكتب في فجر الإسلام لم

تكن معروفة بشكلها الورقي المعروف اليوم، وإنما كانت لفائف الجلد والعظام المسطحة وغيرها. وكان الخطاطون يكتبون بأقلام خشبية يستخدمون فيها المداد الأسود الشبيه بالحبر الشيني. ولم يعرف العرب الأقدمون الورق إلا بعد أن توسعت الفتوحات الإسلامية وتوغلوا في بلاد التركستان حيث وجدوا في سمرقند الورق الذي كانوا لا يعرفونه حتى ذلك الوقت. وقيل إنهم وجدوه في الصين عندما ذهبوا إليها في رحلاتهم لجنوب شرق آسيا بغرض نشر الدين أو التجارة.

وعلى العموم فقد نقلوه إلى بغداد، حيث انتشرت هذه الصناعة إلى أن وصلت إلى الأندلس في القرن الثاني عشر الميلادي. وحتى ذلك الوقت كانت الكتب تخط باليد لذلك كانت قليلة الانتشار وغالية الثمن ولا يقتنيها إلا العلماء أو الأمراء.

المسلمون وصناعة الكتاب

كما هو معروف لم يكتف المسلمون بكتابة القرآن فقط وإنما قاموا بتدوين السنة ووضعوا المخطوطات العديدة للنصوص التي أصبحت مراجع أساسية وهامة للأجيال فيما بعد. وهم الذين نقلوا الورق إلى أوربا، كما أنهم استنبطوا ما يُعرَفُ اليوم ببنوك المعلومات من خلال إنشاء المكتبات العديدة التي أسهمت في تقليل

الأسفار لطلب المعلومة. وكانوا من قبل يسافرون الأيام والشهور والسنين في طلب حديث أو رواية. وكانت أهم المكتبات التي أنشأوها لذلك الغرض هي مكتبات المستنصرية في العراق، والزيتونة في شمال أفريقيا، والأزهر في مصر، والتي كانت النواة الحقيقية لبنوك المعلومات الحاضرة في أوربا وغيرها.

وابتدع المسلمون أدب الرسائل الذي كان وسيلة إعلامية في غاية الأهمية، وصنعوا السفارات لأول مرة في التاريخ، ونسخوا المخطوطات التي حوت كل المعلومات المتعلقة بحياة الفرد في مجالات القانون، والسياسة، والطب، وعلم الفلك، وعلوم البحار، واللغويات، والترجمة.

وكان نقل المسلمين لتلك العلوم والفنون الراقية قد تم طواعيةً وبكل طيبة النفس والخاطر إلى أوربا عبر الأندلس التي أصبحت منارة للعلوم وصل إشعاعها إلى كل أنحاء أوربا بفضل المسلمين إلى حين سقوط غرناطة في مرحلة حكم المعتمد بن عباد الذي ضاعت الدولة في عهده.

والمسلمون هم الذين علموا الناس نقل المعارف عبر المساحات الجغرافية من خلال الفتوحات الإسلامية العديدة التي بدأت منذ أيام دولة الرسول صلى الله عليه وسلم واستمرت إبان فترة الخلافة الراشدة وما بعدها. وكل ذلك في تجرد ونكران ذات، لم يكن دافعه غير نشر المعرفة والفضيلة بين البشر.

الطباعة بالكومبيوتر

بعد اختراع الكومبيوتر تراجعت معظم أساليب الطباعة التقليدية، حيث حل الكومبيوتر محل كثير من الأقسام التي كانت تساعد في إعداد الكتاب أو غيره من المطبوعات. وهنا برزت فنيات التصميم والإخراج البديع الذي يتم في وقتٍ وجيز قياساً لما كان عليه حال الطباعة في أيامها الأولى.

وأصبح بالإمكان طباعة جميع الصفحات في أسرع وقت ممكن. ثم بعد ذلك يتم توضيب الصفحات Type Setting بالكمبيوتر وأيضاً تصميم الصفحات Designing بكل ما فيها من ترقيم فوقي أو تحتي والهوامش والعناوين البارزة والصور والرسومات البيانية وغيرها.

وحتى ضبط المراجع والفهارس في المؤلفات قد أصبح هو الآخر فناً متميزاً يؤديه الكومبيوتر بشكل متقنٍ ودقيق. وبالطبع فإن استخدام الكومبيوتر في الطباعة لم يقف عند هذه الحدود بل تجاوزها كثيراً عندما أتاح لكل دور النشر في العالم إمكانية طباعة أي صحيفةٍ أو مجلةٍ أو كتاب في عدد من بلاد العالم في وقت واحد موفراً متاعب الترحيل ونفقات الإنتاج. وذلك عن طريق استخدام الشبكات التي تربط مختلف العواصم ببعضها البعض. وقد لا يعرف الإنسانُ قيمة هذه الخاصية إلا عندما يُدرك حجم المعاناة والنفقات التي كانت تضيع في سبيل توصيل المطبوعة عبر القارات.

الصحافة: تطورها، أهميتها، وخصائصها

لا شك أن الصحافة تمثل وسيلة هامة للإعلام والمعرفة في عالم اليوم، وذلك بما تحويه من أخبار وصور وتعليقات ومعلومات لا يستغني عنها الإنسان مطلقاً. وقد أصبحت بمثابة الوجبة اليومية التي يتناولها القراء حتى أصبح أكثرهم مدمنين لهذه الوجبة.

ولعل أهمية الصحافة تنبع من خصائصها التي تتمثل في رخص ثمنها، ووصولها إلى المتلقين في أماكن تجمعاتهم عن طريق الموزعين والباعة المتجولين، أو عن طريق الاشتراك وغيره. وقد ظلت الصحف هي الوجبة التي يبدأ بها كثيرٌ من الناسِ يومه ليعرف ما يدور حوله من أحداثٍ وملابساتٍ تخصه أو تخص أسرته الخ... ولذلك فقد أصبحت الصحيفة خادماً مطيعاً للإنسان وحلقةَ وصلٍ بين الشعوب على مر السنوات. والصحيفة بالطبع تحمل أنواعاً شتى من المعلومات التي لا يستغني عنها الإنسان مثل أحوال الطقس وأسعار العملات وأحوال البورصات التجارية والأخبار الاجتماعية من مواليد ووفيات وزيجات وغيرها، فضلاً عن أحداث العالم الساخنة والمتعددة والتي تنقلها الصحافة بتفاصيل وافية مدعومة بالصور والرسومات البيانية والخرائط والإحصاءات وغيرها من أساليب التوضيح.

وظائف الصحافة

تميزت الصحافة بالوظائف التالية:

1. صياغة ونشر الأخبار.
2. تقديم تعليقات على الأحداث.
3. الحث على مختلف السياسات العامة.
4. تزويد القراء بالمعلومات والاستشارات الخاصة.
5. نشر مواد خاصة كالطرائف والكاريكاتيرات والكتب المسلسلة في حلقات.

التطور التاريخي للصحافة (الكورانتوس Corantos)

في المراحل التي سبقت تطور الطباعة المتحركة وظهورها على يد يوحنا جوتنبرج في منتصف القرن الخامس عشر كانت الأخبار تنتشر بين الناس في البلاد الأوربية عن طريق النقل الشفاهي Word of mouth وعن طريق أوراق الأخبار News letters أو عن طريق الإعلانات العامة Public Notices.

ولم يتم ظهور صحف إلا في عام 1609م وذلك عندما ظهرت أول صحف عرفتها البشرية في مناطق شمال ألمانيا في ذلك العام وكانت تسمى الكورانتوس Corantos. ولم يُطلق عليها لفظ الأخبار News إلا بعد قرن من الزمان. وخلال العشرين عاماً الأولى

من ظهورها بدأت تلك الصحف تُنشر في كولونيا وفرانكفورت وبرلين وهامبورج الألمانية وأيضاً في بازل بسويسرا وفينا وأمستردام في هولندا وأنتيويرب في بلجيكا.

وكانت صحف أمستردام تطبع باللغتين الإنجليزية والفرنسية مما مكنها من الولوج سريعاً إلى العاصمة البريطانية لندن حيث بدأت الصحافة الإنجليزية في الظهور عام 1621م وفي باريس عام 1631م. وفي عام 1645م أصدرت استوكهولم صحيفةً للمحكمة لم تزل تصدر حتى الآن.

الشكل الأول للصحافة

كانت الصحف الأولى صغيرة الحجم وليس بها غير صفحة واحدة فقط. ولم تكن بها عناوين بارزة ولا أعمدة ولا إعلانات. وهي أقرب إلى الرسائل الإخبارية الصغيرة التي لا تحمل صوراً ولا أبواباً ثابتة ولا أي شكل من أشكال الفنيات التي تحملها صحف اليوم ذات الحجم الكبير وتعدد الخدمات. وكانت الصحف الأولى لا تحمل إلا الأخبار الخارجية للأحداث التي تتم خارج إطار الدولة ولا شأن لها بالشئون الداخلية. ورغم ذلك كانت بمثابة الوسيلة الأولى لتثقيف الناس بما يدور في العالم.

ولم يكن عنصر الزمان في نقل الأحداث يشكل أهميةً للناس بحكم بطء المصادر التي تمثلت في ذلك الزمان في المسافرين

والتجار والدبلوماسيين. ولكن رغم ذلك فقد لعبت الصحافة دوراً أساسياً وهاماً آنذاك في نقل أخبار الأمم والأحداث الهامة.

ظهور الصحافة ببريطانيا

كانت أولى الصحف التي ظهرت بانتظام في بريطانيا هي صحيفة الأخبار الأسبوعية Weekly News (1622 -1641). وقد كانت الصحف الأولى في لندن تنشر الأخبار الخارجية فقط مثلها مثل صحف شمال ألمانيا الأولى. ولكن في عام 1628م ظهر في الصحف البريطانية لأول مرة تقارير من مداولات مجلس العموم البريطاني House of Commons.

وقد نقل تلك المداولات للصحافة كتبة البرلمان الذين أرادوا إشراك القراء والجمهور البريطاني فيما يجري داخل البرلمان. وقد أقنعوا رؤساء التحرير بذلك فكان لهم ما أرادوا. وكانت تلك الصحف الأولى في بريطانيا تسمى ديورنال Diurnal. كانت هناك بعض المشاكل قد واجت الصحافة البريطانية خلال معظم سنوات القرن السابع عشر. وطوال عقد الثلاثينيات من القرن السابع عشر 1630م وما تلاها تحت إدارة الملك شارلس الأول Charles 1 كانت هناك قيود شديدة قد فرضت على الصحافة وبينها شروط التصديق بالصدور. وقد استمرت هذه القيود طوال فترة الحرب الأهلية في عقد الأربعينيات من ذلك القرن 1640م وما بعدها.

وفي عام 1660م بدأ الملك شارلس عهداً من الإصلاح مما قلص تلك القيود على الصحافة بالتدريج حتى زالت. وعندها استطاعت الصحافة البريطانية أن تعمل في جو من الحرية طالما أمسكت عن نقد الحكومة البريطانية. وفي عام 1702م صدرت في لندن أول صحيفة يومية بعنوان ديلي كورانت Daily Courant.

الصحافة بأمريكا

كانت أول صحيفة منتظمة في أمريكا هي بوستون نيوز لتر Boston News-Letter التي صدرت في عام 1704م وقد أصدرها جون كامبل John Campbell. وقد كانت عرضة للسنسرة بواسطة الحكومة الاستعمارية البريطانية وقد شملت أخباراً اقتصادية وأخباراً خارجية إلى جانب أخبار المواليد والوفيات والشئون الاجتماعية. وفي عام 1721م أصدر جيمس فرانكلين James Franklin صحيفة نيو إنجلند كورانت New England Courant في بوسطن Boston.

وقد كان ضمن العاملين معه شقيقه الأصغر بنجامين فرانكلين Benjamin Franklin الذي ذهب إلى فيلادلفيا في عام 1723م وأصدر منها صحيفة بنسلفانيا غازيت Pennsylvania Gazette والمجلة العامة General Magazine. وقد فشلت كلا الصحيفة والمجلة لأسباب مالية مما جعل بنجامين فرانكلين يتجه نحو الكتابة والتحرير

والنشر قبل أن ينخرط في العمل الدبلوماسي والسياسي. وفي عام 1783م ظهرت في فيلادلفيا أول الصحف اليومية في أمريكا وهما صحيفة بنسلفانيا إيفننج بوست Pennsylvania Evening Post وديلي أدفرتايزر Daily Advertiser.

وبحلول عام 1800م قفز عدد الصحف اليومية إلى عشرين صحيفة بالأسواق ظل يتلقفها الناسُ بشكل منتظم ليقفوا على ما يدور حولهم من أحداث. وقد استمر العدد في الازدياد طوال العقود الثلاثة الأولى من القرن التاسع عشر بفضل تطور أدوات المعرفة، وانتشار المدارس ومعاهد التعليم التي قلصت حجم الأمية بشكلٍ كبير، ثم بفضل انتشار الثورة الصناعية.

دور التلغراف في الصحافة

أفرزت الحرب الأهلية في أمريكا دوراً جديداً للصحافة باستخدامها للتلغراف. وكان أول خط تلغراف قد أنشئ في عام 1844م وبدأت الحرب في 1861م. وكانت معظم مدن الشرق والغرب قد ربطت بخطوط تلغرافية. وقد أثمر ذلك في نقل الأخبار بسرعة. وكان ما يزيد على 150 محرراً ومراسلاً يغطون الحرب ويبعثون رسائلهم عن طريق هذه الوسيلة السهلة التي اخترعها مستر مورس الذي سميت عليه شفرة التلغراف Morse Code.

الصحافة الصفراء Yellow Journalism

في نيو يورك عاش اثنان من الصحفيين النشطين هما: مستر هيرست Mr. Hearst ومستر بوليتزر Mr. Politzer. وكان لكل منهما صحيفته التي تسعى لجذب الزبائن. وقد تطورت صحيفة بوليتزر كثيراً واستقطبت عدداً معتبراً من القراء بحكم نشرها لقصص مسلسلة طريفة.

وعندما رأى مستر هيرست ذلك الإقبال من القراء على صحيفة منافسه استأجر كل الموظفين الذين كان يستخدمهم بوليتزر بصحيفته صندي Sunday وحدد ثمن الصحيفة بفلس واحد فقط لتكون أكثر جذباً للقراء. ولذلك اضطر بوليتزر لتخفيض ثمن صحيفته أيضاً ليجاريه في استقطاب القراء.

وبعد ذلك اشترى هيرست ماكينة ملونة وبدأ نشر القصص الهزلية والفكاهية المصورة. وما لبث أن سرق المسلسل الفكاهي المحبوب الذي كان ينشره بوليتزر في صحيفته بعنوان: هوقانز ألليي Hogan's Ally متضمناً شخصية طريفة اسمها الصبي الأصفر Yellow Kid.

وما كان من بوليتزر إلا أن واصل تقديم نفس السلسلة بعد أن جلب فناناً آخر ليواصل إعدادها له بالصحيفة. وقد استمرأ هيرست تلك المعركة التنافسية وذلك عندما لفتت الصحيفة الانتباه بنشرها عناوين بارزة مثل (العثور على فخذٍ لجسدٍ آدمي)

Thigh of the Body Found وقد رصدت الصحيفة مبلغ 1000 دولار لمن يدلي بأي معلومات تساعد في العثور على القاتل. وبعد ذلك أدت المنافسة على جذب القراء بين بوليتزر وهيرست إلى وضع العديد من التقارير الحساسة والعاطفية والمبالغات وحتى التقارير الكاذبة من أجل التنافس.

وقد امتلأت هذه الصحف نتيجة لذلك بأخبار الجريمة المصورة والجنس الفاضح بكل أشكاله وصور الرعب والفضائح وخدش الحياء وهتك عروض الناس وتتبع مثالبهم وكل أشكال الفساد في دواوين الحكومة والشركات الخاصة وما إلى ذلك.

وقد برهن هيرست وبوليتزر أن الصحافة الصادقة والعفيفة ليست هي الوحيدة المطلوبة في السوق وإنما يمكن جذب الكثيرين بالأكاذيب والسفور وخدش الحياء وتضخيم الأمور. وبالطبع فإن أي واحدة من هذه المعطيات كفيلة بأن تحط من قدر الإنسان وترمي به في غايهب السجون في زماننا الحاضر، ولكنها كانت على كل حال عنصر جذبٍ للقراء في تلك المرحلة.

وأطلق النقاد على هذا الشكل الصحفي اسم الصحافة الصفراء Yellow Journalism، حيث أخذوا هذا الاسم من الصبي الأصفر Yellow Kid الذي أسهم في تفجير هذا التنافس الذي أفضى بدوره إلى أشكال من الكتابات والتقارير والصور الصحفية التي لم تطرأ على بال البشر.

صحافة التابلويد Tabloid Journalism

في عام 1919م موَّلَ رئيس تحرير صحيفة نيو يورك ديلي نيوز مسابقة لاختيار ملكة الجمال وذلك بغرض طرح أول صحيفة تابلويد في أمريكا. والتابلويد هو الحجم الصغير للصحافة 11×14 بوصة وتقدم مواضيع حساسة ومليئة بالتفاصيل العاطفية المصورة وما إلى ذلك.

وقد أظهرت صحف التابلويد كثيراً من العناوين المثيرة والصور الصارخة وتقارير جنسية فاضحة وجرائم بغرض جذب أكبر عدد من القراء خصوصاً بين قطاعات المراهقين. وكانت هذه الصحف تنشر صوراً ضخمة تملأ كل الصفحة مع تعليق قصير وثاقب.

وعبارة تابلويد التي ظهرت مع ذلك الحدث جعلت الأمريكيين يربطون بينها وبين الصحافة الصفراء حتى أصبحا وجهين لعملة واحدة هي نفسها التي سميت صحافة الجاز Jazz Journalism بحكم اهتمامها بموسيقى الجاز وسميت أيضاً صحافة نبش الأوساخ Muck Rakers.

إلا أنَّ تسمية (تابلويد) لا تعني بالضرورة هذا النمط من الصحافة الخارجة على القيم والأخلاق، وإنما تشمل أيضاً صحفاً عديدة جادة وملتزمة ولها مصداقيتها الكاملة، إلا أن حجمها أصغر وهو حجم التابلويد المشار إليه آنفاً.

صحافة نبش الأوساخ Muckrakers

كان الرئيس الأمريكي روزفلت Roosevelt هو الذي أطلق على الصحافة الصفراء اسم صحافة نبش الأوساخ Muckrakers. وقد أراد بهذه التسمية أن يثمن دور هذه الصحف في كشف مكامن الفساد وسط المسئولين التنفيذين في أمريكا وغيرهم من رجال الدولة الذي طالتهم أعمدة هذه الصحف بتتبع عوراتهم وكشف ممارساتهم الخاطئة. ولعل هذه التسمية التي أطلقها الرئيس روزفلت تعتبر أمراً إيجابياً لهذا الشكل من الصحافة لأنها تساعد الدولة في كشف المفسدين وتقديمهم للمحاكمة.

الكاريكاتير Editorial Cartoon

كان أول كاريكاتور صحفي قد ظهر بأمريكا في صحيفة بنجامين فرانكلين بنسلفانيا غازيت في عام 1754م. وهو عبارة عن رسم لثعبان مجزأ في ثمانية قطع وتحته عبارة تقول (إجمع نفسك أو مُتْ) Join or die. وكان الرأس يرمز لنيو إنجلند، وكل واحدة من بقية القطع السبع ترمز لواحدة من الولايات الأمريكية وهي: نيو يورك، نيو جيرسي، بنسلفانيا، ميريلاند، فرجينيا، نورث كارولاينا، وساوث كارولاينا. وقد أصبح ذلك الكاريكاتير حدثاً في حد ذاته بحكم أنه كان صرخة سياسية لتوحيد الولايات الأمريكية ضد

الوجود البريطاني الذي مزقها وفرَّق بينها طوال سنوات استعماره لها. ولذلك فقد أعادت طبعه سريعاً معظم صحف نيو يورك وبوسطن.

قانون الضرائب Stamp Act

في عام 1765م ظهر الثعبان كرمز للرفض للسياسة البريطانية في أمريكا وذلك عندما صدر القانون الضريبي على الصحف مما أصبح الشرارة الأولى لثورة الاستقلال. وكان ذلك القانون قد فرض دفع ضريبة مقدارها نصف فلس Half Penny مقابل كل نسخة تصدر من الصحيفة ذات الحجم الصغير، ومبلغ فلس واحد مقابل كل نسخة من الصحيفة ذات الحجم الكبير.

وكان على الصحف أن تدفع مبلغ شلنين مقابل أي إعلان يظهر على صفحاتها. وقد احتجت على ذلك القانون الضريبي كل الصحف الأمريكية حتى تلك التي كانت موالية للتاج البريطاني.

المجلة Magazine كوسيلة اتصال جماهيرية

تعتبر المجلة من أهم وسائل الاتصال الجماهيرية. وقد بدأت أولى المجلات في ألمانيا عام 1665م وكذلك في بريطانيا التي

شهدت ظهور أول مجلاتها في نفس ذلك العام، أما في أمريكا فقد بدأت صناعة المجلات في عام 1741م. وكانت المجلات الأولى في أمريكا تتكون من أربعة صفحات فقط دون شواهد ترسيمية أو توضيحية بالصور.

وكان ريع المجلة في بدئها عبارة عن إعلانات. وطبيعة المجلة أنها تأتي في فترات منتظمة أسبوعية أو شهرية أو فصلية. ولذلك كانت هي الأكثر اهتماماً بالشئون الخاصة للجماعات ذات الخصوصية والأمور ذات الطبيعة التسجيلية كحياة الأقليات في الدول أو شئون الأطفال والنساء والأقليات العرقية أو الإثنية أو المهتمين بشئون الرياضة والكومبيوتر وما إلى ذلك.

ميلاد المجلة من صلب الصحافة

خرجت المجلة من صلب الصحافة ولذلك فإن البعض يسميها بنت الصحافة. والسبب في هذه التسمية هو طبيعة ظهور المجلات لأول مرة. حيث كانت دُورُ النشر الصحفية تجمع كل المواد التي لا تجد طريقها للنشر لسببٍ أو لآخر وتضعها في الدواليب التي اكتظت بها فنقلت إلى المخازن. وبالطبع فإنَّ المقال الذي لا ينشر ليس بالضرورة أنه سيء أو غير صالح، وإنما هناك أسبابٌ عديدة لتعذر نشر المقال أو الموضوع الصحفي منها على

سبيل المثال: أن يصل المقال متأخراً للناشر أي بعد انتهاء الحدث، أو أن يكون المقال طويلاً جداً أو قصيراً جداً فلا يتناسب مع حجم المساحة المعدة للنشر بالصحيفة.

وقد يكون سبب عدم نشر المقال متعلقا بمضمونه الذي يتجاوز حدود السياسة المتبعة لدى الصحيفة، أو قد يكون جيد الصياغة ولكنه يسيئ إلى البعض أو يجرح طائفةً من الطوائف، أو أنه لا يتسق مع طبيعة الخدمة التي تقتضي مُوجهاتٍ معينة الخ..

وبما أن كل هذه الأسباب لا تعني بالضرورة سوء المقال فإنَّ الصحف عندما لا تنشر المواد القادمة إليها من الكُتَّاب بمختلف أشكالهم فإنها لا تُلقي هذه المواد في سلة المهملات وإنما تحتفظ بها علَّ وعسى أن تكون ذات فائدة في يومٍ من الأيام. ولما تراكمت الأوراق لدى الدور الصحفية تم وضعها في المخازن.

وبعد سنوات فكَّر الناشرون في الاستفادة منها بنشرها في مطبوعةٍ تختلف عن الصحيفة وعن الكتاب فجاءت فكرة المجلة التي هي وسط بين الصحيفة والكتاب. وقد سماها المؤسسون الغربيون ماغازين Magazine آخذين الاسم من الكلمة العربية مخازن التي هي مصدر مواد المجلات. ولما كان الأوربيون لا يستطيعون نطق الكلمة العربية مَخازِنْ بصورتها الصحيحة فقد نطقوها مَكازِنْ وهي التي صارت ماغازين Magazine الإنجليزية تعني المجلة.

الفوارق بين الصحيفة والمجلة

	الصحيفة	المجلة
1	خدمة يومية،. ولذلك لو كانت أسبوعية أو شهرية لا يكتمل توصيفها إلا بعد أن تتحول إلى خدمة يومية.	خدمة دورية. وكلمة دورية تعني أنها تصدر كل أسبوع أو شهر أو ثلاثة شهور أو سنة الخ... ولذلك فهي لا يجوز لها مطلقاً أن تصدر كل يوم وإلا تحولت من مجلة إلى صحيفة
2	تطبع على ورق حر غير مجلد أو مدبس	تطبع على ورق مصقول ومجلد بدبابيس أو أي شكل من أشكال الربط
3	تهتم بالشئون العامة لكل قطاعات المجتمع	تهتم بشئون الأقليات والمجموعات أوالقطاعات الخاصة
4	تُطبع لكل فردٍ في المجتمع رجلاً كان أو امرأة، صغيراً أو كبيراً.	تُطبع لفئات معينة ومقصودة كالمرأة أو الطفل أو العمال أو الشباب الخ..
5	تعتمد على نشر الأخبار والأحداث اليومية والشئون الخبرية السريعة	تعتمد على نشر المواضيع الطويلة والمقالات والتقارير والشروح المصورة وما شابهها.

المجلات الأولى

كانت المجلات الأولى في ألمانيا وفرنسا وإنجلترا عبارة عن مجموعة ملخصات لمواضيع ما لبثت أن تطورت إلى مقالات معظمها عن تطور الفنون والآداب والفلسفة والعلوم وقضايا المجتمع العامة التي تتعلق ببعض القطاعات كالمرأة والطفل والشباب والتجار أو الساسة.

وكانت أشهر المقالات التي نشرت بالمجلات الأوربية في القرن الثامن عشر هي المنشورات البريطانية بعنوان: (النمام والمتفرج) The Tattler and the Spectator للكاتب البريطاني المرموق سير رتشارد استيلي Sir Richard Steele وأيضاً الكاتب جوزيف أديسون بالإضافة إلى مقالات (المتسلق والعاطل) The Rambler and the Idler التي نشرها الكاتب صمويل جونسون.

وقد تطورت المجلات في ألمانيا وفرنسا وإنجلترا خلال نهايات القرن الثامن عشر عندما بدأت تركز بشكل دقيق على المعلومات العامة والأدب والعلوم وقد ركز بعضها على دراسة الأفكار الأدبية الحديثة.

وكانت أول المجلات التي اهتمت بالترفية بالتسلية والإمتاع الفكري هي مجلة الرجل الماجد The Gentleman's Magazine التي صدرت في بريطانيا متضمنة تقارير عن مناظرات سياسية بين بعض القادة المرموقين، وتخللتها بعض المقالات الثقافية.

الدور الريادي للمجلات في أمريكا

لعبت المجلات دوراً لم تتمكن الصحف ولا الكتب لعبه وذلك لطبيعتها وخصائصها المتميزة في تقديم الخدمات المتخصصة فضلاً عن أثمانها المعتدلة نسبياً قياساً للكتب.

وقد ظهر هذا الأمر جليا في الولايات المتحدة الأمريكية التي ظهرت المجلات فيها لأول مرة في عام 1741م بولاية فيلادلفيا أي بعد 50 عاماً من ظهور أول صحيفة فيها. وكان الفضل في ظهور المجلات بأمريكا لبنجامين فرانكلين Benjamin Franklin وأندرو برادفورد Andrew Bradford الذين تسابقا ليكون كل منهما السابق في مجال إصدار أول مجلة أمريكية قبل رفيقه.

وكان فرانكلين هو صاحب الفكرة الأولى في إصدار أول مجلة، وقد طلب من أحد أصدقائه من المحامين أن يكون محرراً لها، إلا أنَّ هذا الصديق أخبر برادفورد بذلك الأمر، وما لبث برادفورد أن بادر لإقناعه بالعمل أجيراً لديه مقابل بعض المال وأن يُصدر باسمه مجلة بعنوان المجلة الأمريكية The American Magazine.

وقد حدث ذلك وأصدر الصديق المحامي المجلة في يوم 13 فبراير 1741م، ثم صدرت مجلة فرانكلين بعنوان المجلة العامة The General Magazine بعد ثلاثة أيام من مجلة برادفورد. ولكن للأسف لم تعمر أيٌّ من المجلتين طويلاً حيث أصدر برادفورد ثلاثة أعداد فقط وتوقف، في حين أصدر فرانكلين ستة أعداد وتوقف. ولكن رغم

ذلك التوقف إلا أنَّ كليهما قد وضعا اللبنة الأولى لصناعة المجلات في أمريكا.

المجلة المعلم الأول للشعب

اعتبرت المجلات هي المعلم الأول للشعب الأمريكي، كما اعتُبرت وسيلة الإعلام الجماهيرية القومية رقم واحد في البلاد، وذلك لأن الصحف في أمريكا توزع فقط حول دوائر المدن في حين غلا ثمن الكتب ولم تعد غير المجلات لتحمل عبء تثقيف وتنوير المواطنين. وقد اعتمد المشتركون من القراء على المجلات اعتماداً كبيراً في تلقي المعلومات ومتابعة الأحداث المختلفة وتنمية الثقافة والترفيه.

الأمور التي زادت قُراء المجلات

ظلَّ الناشرون زهاء القرن من الزمان يتلمسون الأسباب التي تزيد حصيلتهم من القراء. وبحلول القرن التاسع عشر وصلت المجلات إلى أقصى عدد من القراء بفضل أربعة أمور أساسية تناولتها بشكل مكثف وهي:

1/ شئون المرأة، 2/ حملات محاربة الأمراض الاجتماعية، 3/ الأدب والفنون، 4/ السياسة.

المجلات وقانون النقل البريدي لعام 1879م

كانت المجلات في بداية عهدها باهظة التكاليف، غالية الثمن. وذلك لأنها لم تكن تحمل إعلانات تجارية مما جعلها تعتمد على عائد مبيعاتها فقط. وقد انعكس هذا على توزيعها الذي أصبح محدوداً للغاية بحكم أثمانها الباهظة.

ولكن المجلات الأمريكية التي أظهرت منذ بداياتها العديد من القضايا التي حملت آراء سياسية واقتصادية وغيرها ظلت تبحث عن الطرق التي تساعدها في الوصول إلى قرائها بأثمانٍ معقولة وأن تقلل من عدد الراجع منها قدر المستطاع.

ومن ذلك فطن الناشرون إلى أنهم يدفعون مبالغ كثيرة لمكاتب البريد لقاء ترحيل مجلاتهم من مكانٍ إلى آخر في حين لا تدفع الصحف أي رسوم مقابل النقل البريدي.

واحتج أصحاب المجلات على هذا الظلم الذي لحق بهم محتجين بأن الدور التثقيفي الذي يقومون به لا يقل عن دور الصحف إن لم يكن أكبر، فلماذا لا تتم مساواتهم مع الصحف بإعفائهم من رسوم النقل البريدي!؟

وقد أورد ملاك المجلات في دفاعهم عن مواقفهم أنهم عندما يضيفون رسوم البريد إلى ثمن المجلة فإنَّ هذا يرفع من أثمانها التي هي غالية من أصلها. وأثناء ذلك الاحتجاج قام بعض أعضاء البرلمان الأمريكي بطرح هذا الأمر على رجال الكونجرس بغرض

التداول حوله والخروج بنتيجة لصالح المجلات. وقد تصدى النائب هـ. د. موني H.. D. Money لهذا الأمر في إحدى الجلسات حيث قال: (إنَّ المجلات هي المعلم الأول للمواطنين). وبذلك أصدر الكونجرس قانوناً سُمِّيَ قانون النقل البريدي Postal Act 1879 ساوى فيه بين الصحف والمجلات في دفع رسوم الترحيل البريدي.

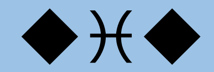
ولكنه قلل هذه الرسوم إلى أقصى حد، حيث نَصَّ على أن يدفع الناشر فِلساً واحداً مقابل كل دولار يجنيه من بيع الصحف أو المجلات على حد سواء. وكان هذا القانون برداً وسلاماً على المجلات لأنه فضلاً عن مساواتها بالصحف ساعد في تقليل نفقات المجلات وانتشارها السريع في المدن المختلفة. وقد لجأت المجلات أيضاً لتوسيع دائرة الإعلانات ذات العائد الكبير لتغطي نفقات إنتاجها الكبيرة، مما أسهم بدوره في تطوير أعمالها وجلبها لأعداد متزايدة من الزبائن والمعلنين والمساهمين.

مجلات السياحة

انتشرت مجلات السياحة في السنوات الأخيرة انتشاراً واسعاً بحكم الاهتمام المتزايد الذي أولته الحكومات في مختلف أنحاء العالم لمرفق السياحة. والمجلات السياحية تختلف عن المجلات العادية في أن معظمها يوزع مجاناً لأنه مدعومٌ من الحكومات التي

ترغب في ترويج السياحة في بلدانها. وغالباً ما ترعى مثل هذه المجلات وزارات السياحة أو الثقافة المنتشرة في أنحاء العالم. وتحوي مجلات السياحة موضوعات مصورة عن أماكن السياحة في الدولة فضلاً عن معلومات كافية عن الفنادق، والحدائق، والمنتجعات السياحية، والسفارات الأجنبية وعناوينها، وأسماء الشوارع، والمحلات التجارية، وأماكن اللهو، والمواقع التاريخية والأثرية التي تهم السواح إلى غير ذلك من المعالم الهامة.

وتحوي مجلات السياحة في معظم الأحيان معلوماتٍ عن أنواع العملات المستخدمة في الدولة وأسعار صرفها مقابل العملات العالمية وشروط التعامل المصرفي وغير ذلك مما يحتاج إليه السواح.



الفصل الرابع

❋❋❋❋❋

تطور الإعلام المسموع

الفصل الرابع

تطور الإعلام المسموع

❄❄❄❄❄

أقر العلماء والباحثون أن كل وسائل الاتصال الإلكترونية التي ظهرت خلال العقود الماضية إنما تسعى لتقريب خدماتها من شكل الاتصال المباشر الذي يتم فيه التفاعل وجهاً لوجه بين المرسل والمتلقي. وعندما تكثفت الدراسات خرجت في نهاية المطاف بالنماذج المطروحة الآن في الأسواق لجعل الوسيلة الاتصالية الاتصالية مُتجاوبةً مع الإنسان، ومُلبيةً لحاجاتِه، ومُجيبةً على تساؤلاتِه.

وأقرب مثالٍ لذلك هو شبكة الإنترنت العالمية التي تلبي كل طلبات المتلقي، وذلك من فتح الصفحات المطلوبة، ثم طرح المعلومات، والرد على الاستفسارات، والمشاركة في ساحات الحوار والنقاش والجدل الفكري أو السياسي.

وقد تطورت التجارب أكثر من ذلك عندما ظهر جهاز التليبيوتر Teleputer الذي جمع بين الكومبيوتر والتلفاز والراديو والفاكس والتلفون والكتاب الإلكتروني والمجلة والصحيفة والتسويق والإعلان في جهازٍ واحد. حيث يرتبط هذا الجهاز بشبكة متصله عن طريق الألياف الضوئية Fiber Optics لتقوم كل وحداته

بتلبية رغبات المتلقين من خلال التخاطب المباشر مع الآلة. وكل ذلك في سبيل تقريب هذه الأنماط الاتصالية المختلفة من نمط الاتصال المباشر Face to Face Communication الذي أثبت جدواه وفعاليته وبرع الناس في استخدامه كواحد من أساليب العلاقات الاتصالية فيما بينهم.

التسجيل الصوتي Sound Recording

ارتبط التسجيل الصوتي ارتباطاً وثيقاً بالعمل الإذاعي لأن معظم المواد التي تقدمها إذاعات العالم تؤخذ من تسجيلات مسبقة على الأشرطة أو الأسطوانات أو أقراص الكومبيوتر وما إلى ذلك. ومعظم إذاعات العالم قد بدأت ببرامج على الهواء مباشرة ثم تطورت للتسجيل ثم عادت لأسلوب التقديم المباشر لبرامجها في السنوات الأخيرة، إلا أنها لم تستغنِ مطلقاً عن التسجيل الصوتي في أي مرحلة من المراحل.

ويظهر ذلك جلياً في تسجيلات الموسيقى، والغناء، وشعارات البرامج، والدراما، والمؤثرات الصوتية، والبرامج التسجيلية التي تحوي مواد من الماضي أو تسجيلات لأصوات الكائنات المختلفة كالحيوانات والرياح والأمطار والرعود والانفجارات والطيران والمواصلات وغيرها مما لا يمكن نقله للأستديو. وهي بذلك تُقنع المتلقي أنه يعيش الجو الحقيقي الذي يتم نقلُه إليه.

لمحة تاريخية للتسجيل الصوتي

لعل فكرة التسجيل الصوتي قد بدأت أول مرة عندما خرج المهندس الأمريكي توماس أديسون Thomas Edison لأول مرة على الناس بجهاز الحاكي الذي قام بتصميمه في عام 1877 وهو ما سُمي الفونوغراف Phonograph. ثم تبعه صديقه أميل برلاينر Emile Berliner الذي قام بتطوير القراموفون Gramophone في عام 1887م. وبعد ذلك أنشأ برلاينر وصديقه إلدريج جونسون Eldrige Johnson شركة صوتيات فيكتور (RCA) لبيع بعض التسجيلات.

بعد ذلك قام جوزيف ماكسفيلد Joseph Maxfield بتطوير أجهزة التسجيل لتنقية الصوت وتجويد كفاءة الاستماع إلى حد كبير جعل التسجيل ذا جاذبيةٍ أكثر من سنوات البداية.

وبمرور السنوات تطور التسجيل الصوتي حتى أصبحت أجهزة الهاي فاي Hi Fi في متناول أيدي الجميع بحلول عقد الخمسينيات من القرن العشرين عندما طورتها أولاً شركة لندن للتسجيلات، ثم عمت بقية أنحاء العالم.

وظهرت في السنوات الأخيرة أجهزة الاستريو والليزر والأجهزة الرقمية ذات الكفاءة العالية. وقد قفز عدد الشركات العاملة في مجال التسجيلات إلى آلاف الشركات حيث يعمل في أميركا وحدها أكثر من 5000 شركة للتسجيلات الصوتية. وهذه الشركات تبيع أكثر من 900 مليون شريط في العام.

أدوات التسجيل الصوتي Audio Recording Tools

أدت الأشرطة المسجلة والأسطوانات دوراً مهماً في تسجيل وحفظ المعلومات. وقد تمت الاستفادة منها كثيراً في تعليم اللغات. وذلك لأنَّ فيها نماذج لأصوات وتسجيلات أهل اللغة الأصليين وفيها روايات كاملة ودروس مبرمجة للتعليم دون معلم.

وقد استخدمت أجهزة التعليم الذاتي في تسجيل الدروس وعرض النماذج المصورة والأسئلة والأجوبة الصحيحة ورفض الإجابات الخاطئة مما أدى إلى ذلك من تسهيلات جعلت من التسجيل أمراً يفوق أهمية الكتاب والمجلة والصحيفة في بعض الأحيان.

فكرة التسجيل الصوتي

عندما يتحدث الإنسان تخرج من فمه ذبذبات صوتية في هيئة موجات تنتقل عبر الهواء لتؤثر في أذن الشخص الآخر فيسمع الحديث. ويكون الاستماع نتيجة لتحريك طبلة غشاء الأذن بواسطة الموجات الصوتية، ثم تحرك الطبلة العظام الدقيقة في الأذن الوسطى، ثم تنتقل هذه الإشارات عبر الأعصاب السمعية إلى المخ فيفسرها وتصبح مادة مسموعة ومفهومة.

والتسجيل الصوتي هو تسجيل الموجات الصوتية بطريقة ميكانيكية على أسطوانة أو شريط مغنطيسي أو شريط كاسيت، ثم إعادة الاستماع لهذا التسجيل بواسطة جهاز التلعيب. وقد نبعت

الفكرة الأساسية من أنَّ الذبذبات الصوتية التي تخرج من فم المتحدث يمكن أن تؤثر في أي غشاء خفيف يوضع أمام الفم فتحدث فيه حركة. ولذلك عندما يتحدث الإنسان أمام الميكرفون يحدث اهتزاز في الغشاء المتصل بالملف، فيتحرك الملف داخل المغنطيس فيولد ضغوطاً كهربائيةً خفيفةً في السلك الطويل المتصل بالميكروفون.

ويدخل هذا التيار الخفيف إلى مكبر داخل جهاز التسجيل، وتتكبر هذه الضغوط الكهربائية وتنتقل عبر السلك إلى رأس التسجيل حيث يتحول التيار إلى قوة مغنطيسية تؤثر في الشريط أثناء سريانه فتحدث فيه تشكيلات مغنطيسية.

وعندما نعيد الشريط من بدايته ونبدأ في الاستماع يمر أمام رأس التسجيل فتؤثر التشكيلات المغنطيسية المسجلة بالشريط على رأس التسجيل فتولد ضغوطاً كهربائيةً خفيفة تسري من خلال الأسلاك إلى المكبر، ثم إلى السماعة، فتحدث حركة في البوق الورقي، فيخرج الصوت ويسمع بوضوح.

الميكروفون Microphone

هو جهاز بسيط التركيب به غشاء خفيف متصل بملف من السلك يتحرك داخل قطعة مستديرة من المغنطيس. ومهمته هي التقاط الأصوات التي حالما تدخل عبره حتى تحدث اهتزازاً في

الغشاء المتصل بالملف الذي يتحرك داخل المغنطيس فيولد ضغوطاً كهربائيةً خفيفةً في السلك الطويل المتصل به فيدخل هذا التيار الخفيف إلى مكبر داخل جهاز الصوت أو جهاز التسجيل الملحق به الميكروفون.

وهناك عدة أنواع من ميكروفونات التسجيل أهمها الميكروفون المضغوط Condenser Microphone الذي ساعد كثيراً في إعطاء التسجيلات بعداً آخر حيث أصبحت الأصوات المسجلة أقرب إلى الأصوات الحقيقية. وظهرت الميكروفونات اللاسلكية التي يحملها المتحدث أو المغني أو الممثل في يده ويتجول بها في حرية تامة ما دام في إطار التقاط هذا النوع من الميكروفونات. وظهرت لها أحجام صغيرة يثبتها المؤدي على قميصه مثل الأزرار ويتحرك بحرية تامة أثناء التسجيل.

المسجل Recorder

يُعتبر المسجل Recorder جهازاً كهربائياً يعمل على تثبيت المواد الصوتية الواصلة إليه من خلال الميكروفون على الأشرطة. وهو عادة يعمل بالتيار الكهربائي أو بالبطاريات الجافة التي توضع في داخل الجهاز، مما يساعد على تحريك الموتور وتشغيل أجزائه المختلفة من سماعات وبكرات ومفاتيح التشغيل المختلفة، ومن ثم

يتمكن الإنسان من التسجيل والاستماع للمواد المطلوبة. وقد زودت جميع أجهزة التسجيل بمفاتيح وأجهزة تساعد على إجراء عمليات التسجيل وإعادة التلعيب والاستماع. ومن هذه الأجزاء: الميكرفون، والسماعة، ورأس التسجيل، ورأس المسح، والمحرك الكهربائي، ومفاتيح التشغيل، ومؤشر مستوى التسجيل.



الإذاعة Radio Broadcasting

تعتبر الأجهزة الإذاعية من أقوى وسائل الاتصال انتشاراً نسبة لعموم بثها في جميع أنحاء العالم وبساطة أجهزة الاستقبال. فهي في كل منزل ومكان. لقد ربطت العالم ربطاً وثيقاً كأسرة واحدة، بل مازجت بين الثقافات والحضارات بصورة واضحة.

وأصبح ما يحدث في بلد من البلاد يجد صدىً في جميع البلاد، ويمكن أن تستمع لوجهات النظر المختلفة في أكثر من إذاعة وتكون رأياً قاطعاً في سويعات قليلة. ولقد استغلت كجهاز إعلامي للدول لنشر الوعي والإرشاد ولتعليم الجماهير. أما بالنسبة للمدارس فقد خصصت بعض البلدان إذاعات لبث الدروس للمدارس يقوم بإدارتها معلمون متخصصون. وتسجل الدروس بواسطة

مسجلات في المدارس وتعاد حسب الحاجة لها. كلمة راديو بالطبع ليست كلمةً عربية وإنما دخلت اللغة العربية من خلال استخدام الناس اليومي للكلمة الإنجليزية Radio شأنها شأن كثير من المخترعات التي فرضت أسماءها الأجنبية رغماً عن وجود أسماء عربية لها.

وقد مازجت الإذاعة بين الثقافات والحضارات بصورة واضحة حتى صار ما يحدث في بلد من البلاد يجد صدىً في جميع أنحاء العالم، ويمكن للإنسان أن يسمع وجهات النظر المختلفة في أكثر من إذاعة ليكون بعد ذلك رأياً قاطعاً في ما يدور حوله من خلال ما يسمع.

واستفادت الدول من إذاعاتها كأجهزة إعلامية لنشر الوعي والتثقيف والإرشاد وتعليم الناس. وقد ظل الراديو الذي غيّر نمط الحياة على خريطة الأرض منذ أن ظهر كاختراع جديد في أوائل القرن العشرين ظلّ ملازماً لمعظم بني الإنسان، وصار صديقاً وفياً يضارع أصدقاء الماضي القدامى الكتاب والصحيفة والمجلة.

خصائص الراديو

لا شك أنّ الإذاعة قد تغلغلت في حياة البشر، وصارت جزءاً لا يتجزأ منها في معظم الأحوال. ذلك لأنّ الراديو يمتاز ببعض

الخصائص التي جعلت منه أداةً سهلةً ومريحة، وذلك لأن التقاط البرامج الإذاعية لا يحتاج إلا لأذن تتابع الأحداث المذاعة بالراديو وكفى. حيث لا يحتاج الأمر إلى جهد كبير كمشاهدة التلفاز أو السينما وإنما يعتمد على حاسة السمع فقط.

وبالطبع فإنّ سلاح الإذاعة هو الكلمة المنطوقة وحدها، وهي تعتبر الجسر الحقيقي بين الإذاعة والمستمع مهما كانت الاختلافات الطبيعية أو الاجتماعية أو التعليمية بين الناس. والكلمة هي البذرة الأساسية للتعليم والإعلام.

التجارب الأولى للإذاعة

في عام 1890م أجريت بعض التجارب الفنية في الولايات المتحدة الأمريكية لنقل الصوت عبر الأثير. ولكنها كانت تجارب محدودة لم تحقق الغرض المطلوب منها، وذلك لبساطة الأسلوب الفني والأجهزة التي تم استخدامها فيها.

وبدأ الإيطالي (**جوجليلمو ماركوني** Guglielmo Marconi) تجارب مماثلة في عام 1897م. ثم بعد ذلك قام (**ريجنالد فيسيندن**) Reginald Fessenden بتطوير تقنيات الاتصال اللاسلكي التي استفاد منها عددٌ من المهندسين الفنيين والباحثين، ومنهم (**لي دي فورست**) Lee de Forest الذي أطلق على نفسه اسم (**أبو الراديو**) Father of Radio بحكم أنه اخترع أنبوب الأوديون Audion tube الذي

استُخدم في تشغيل الموجات الصوتية. ورغماً عن إخفاق التجارب الأولى إلا أنَّ الفكرة ظلّت لفترة طويلة مسيطرة على أذهان المهندسين والفنيين الذين قاموا بتلك التجارب.

وكان العالم الإيطالي الأصل والبريطاني الجنسية جوجليلمو ماركوني قد نجح في عام 1901م في إرسال الذبذبات التلغرافية المعروفة باسم (**مورس كود**) Morse code عبر الأثير من خلال المحيط الأطلنطي. وفي عام 1906م استطاع أن يرسل الصوت البشري بنجاحٍ عبر الأطلنطي باستخدام الموجات الأثيرية.

وكان مما أثارَ حفيظةَ العلماء ومنهم ماركوني وأغراهم بمواصلة تلك التجارب لتحقيق أهدافهم عدةُ عواملَ فكريةٍ وسياسيةٍ واجتماعية وعلمية على رأسها ما توصل إليه العلم آنذاك، والذي تمثل في ثلاثة اختراعاتٍ رئيسية هي:

1. اختراعُ التلغراف الذي تم على يد الأمريكي (**صمويل مورس**) Samuel F. B. Morse عام 1835م.

2. ظهور التلفون الذي اخترعه (**ألكساندر جراهام بيل**) Alexander Graham Bell في عام 1876م.

3. اكتشاف الموجات الأثيرية بواسطة العالم الألماني (**هنريك هيرتز** Heinrich Hertz) في عام 1887م والذي سُميت عليه قياسات الموجات الصوتية فنقول (بذبذبة مقدارها كذا كيلو هيرتز أو ميقا هيرتز).

كان الجديد فيما فعله جوجليلمو ماركوني هو استخدام الهواء كناقل للذبذبات التلغرافية بدلاً من الأسلاك والوسائط الإلكترونية. وقد استمر في تجاربه حتى تمكن من إرسال الصوت البشري عبر الأثير في عام 1906م. وقد توج بذلك جهوداً وآمالاً عراضاً راودت الكثيرين في بدء ما يسمى بالراديو.

وقد بذل ماركوني وغيره جهوداً مكثفة في بريطانيا واكبتها جهود أخرى في روسيا وألمانيا لإرسال الصوت البشري. فقد كانت هناك مؤشرات لاستخدام الراديو في تلك الدول، إلا أنها لم تتبلور كاختراع متكامل في شكل الراديو المعروف لدينا اليوم.

وفي عام 1905م استخدم الروس لأول مرة موجات الأثير الصوتية في الحرب الروسية اليابانية. حيث أجروا بعض الاتصالات البحرية عن طريق الأثير مع جنودهم المحاربين في قواعدهم باليابان. ولكنّ تلك التجربة لم تنجح النجاح الكامل بحكم ضعف وقدم الأجهزة التي استخدمت في الإرسال وهي أجهزة عسكرية. ولذلك لم تستمر تلك التجربة وخمدت زهاء العشر سنوات خلال

الفترة التي أعقبت انتهاء الحرب مع اليابان. إلا أنّ الحقائق تؤكد أن خبراء الاتصالات الروس لم يستكينوا بعد ذلك وإنما واصلوا جهودهم في ذلك المضمار حتى تكللت بالنجاح في اليوم السابع من شهر نوفمبر عام 1917م حيث أذاعت إحدى السفن الحربية الراسية في ميناء بتروغراد Petrograd الروسي رسائل من القائد الشيوعي لينين إلى الشعب الروسي، تعلن من خلالها انتهاء حكم القياصرة وأيلولة السلطة في البلاد إلى الثوار البلاشفة.

وكلمة راديو بالطبع ليست كلمةً عربية وإنما دخلت اللغة العربية من خلال استخدام الناس اليومي للكلمة الإنجليزية Radio شأنها شأن كثير من المخترعات التي فرضت أسماءها الأجنبية رغماً عن وجود أسماء عربية لها.

الإذاعة في أمريكا

عندما نجحت تجارب ماركوني في بث الصوت البشري عبر الأثير دعته الولايات المتحدة لزيارتها بغرض تقديم محاضرات عن اختراعه المهم. وعندما وصل إلى هناك عُرض عليه البقاء لمواصلة تجاريه التي أصبحت أكثر نجاحاً حيث تمكن من صناعة العديد من محطات الإرسال الصغيرة وأجهزة الاستقبال وعرضها في الأسواق. وكثرت نتيجةً لذلك القنوات التي ترسل مواد عشوائية

على الهواء بحكم أنَّ عشرات الهواة قد انجذبوا لهذه العملية الفنية المشوقة. وأصبح من السهل أن يلتقط الإنسانُ العديد من النكات حتى البذيء منها والعديد من المعلومات التي لا يربط بينها رابط. واستغلها بعض الشباب لمشاغلة أصدقائهم من الجنسين. واستمر هذا الأمر طوال الفترة منذُ بسط الشركات لمنتجاتها في الأسواق وحتى عام 1914م.

وظلت الحكومة الأمريكية متوجسةً طوال تلك السنوات مما يمكن أن تجر إليه تلك الإذاعاتُ العشوائيةُ التي يبثها الهُواةُ على الأمن القومي أو الثقافة العامة. ولكنَّ الحكومة لم تجرؤ على إيقافها بحكم القانون الذي نَصَّ على حرية التعبير عبر وسائل الاتصال المختلفة، حيثُ كان أولُ تعديلٍ على الدستور الأمريكي في عام 1779م قد نصَّ على هذه الحرية بشكلٍ واضح.

ولم تتمكن الحكومة من ضبط أو إيقاف تلك الإذاعات إلا عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى في عام 1914م التي كانت أميركا شريكاً فيها. حيثُ استغلت الحكومة ظروف الحرب ومشاركة القوات الأمريكية فيها وأصدرت تعليماتٍ صارمة بمنع أي بث إذاعي غير مرخص من وزارة الدفاع بحكم أن البلاد في حالة حرب. وصمتت جميعُ تلك الإذاعات حتى نهاية الحرب في عام 1917م، حيثُ حاول العديدون مواصلة ما كانوا يبثونه عبر الأثير. إلا أن الدولة قد منعتهم استناداً على القرار الذي صدر إبان

الحرب ونصَّ على أن يستخرج كلُ من يريد تنظيم برامج إذاعية ترخيصاً كتابياً من الدولة. استمر ذلك الأمر إلى أن نشأ جهاز ال FCC وهو اختصار لعبارة Federal Communication Commissioner أي مؤسسة الاتصالات الفيدرالية في عام 1934م ليكون الجهة الرسمية الوحيدة المسئولة عن تنظيم الاتصالات الإذاعية بالدولة، والتي أصبحت فيما بعد تقوم بدور المهيمن والرقيب على الاتصالات التلفزيونية أيضاً.

ورغم أن العديدين قد تقدموا بطلبات لمعاودة البث إلا أن الدولة التي أرادت تنظيم هذه العملية رفضت منحهم تلك التراخيص. وكان أول ترخيص رسمي يصدر منها في تلك الفترة قد أدى إلى نشأة أول محطة إذاعية منتظمة في العالم هي التي أنشأها المهندس الأمريكي الشاب (**فرانك كونراد**) Frank Conrad في أواخر عام 1920م. حيث كان قد حصل على الترخيص بحكم أنه شخصٌ مؤهل ويمتلك مقومات العمل.

وظلَّ يجري العديد من الاختبارات اللاسلكية لسنواتٍ طويلة داخل مصنعٍ شركة وستنجهاوسWestinghous للإلكترونيات والاتصالات في مدينة بتسبورج بولاية بنسلفانيا Pennsylvania الواقعة على ضفاف نهر الأوهايو. وكان كونراد قد بدأ أثناء تلك الاختبارات في تشغيل بعض المواد الإذاعية التي راقت له مثل بقية الهواة من الشباب. ولما حصل على ذلك الإذن الرسمي طوَّر

محاولاته المتواضعة لتصبح أول محطة إذاعية منتظمة للهواة. كانت المحطة متواضعة في حجمها وقوة إرسالها وبرامجها، حيث كانت تعتمد على بعض الموسيقى ونتائج الألعاب الرياضية. ولكنها استقطبت رغم تواضعها أعداداً كبيرةً من المستمعين الذين تعاطفوا معها، مما أغرى أحد أصحاب المحلات التجارية في الولاية أن يعرض على الجمهور أجهزة استقبال (Radio) للبيع مقابل عشرة دولارات فقط للجهاز الواحد.

وقد لعب الأمريكي ديفيد سارنوف David Sarnoff دوراً هاماً في جعل البرامج الإذاعية عملاً تجارياً مربحاً في الولايات المتحدة. بعد ذلك أصدرت الحكومة الأمريكية قانون الإذاعة Radio Act في عام 1927م والذي أقر مبدأ أن تكون للحكومة سلطة تنظيم البث الإذاعي كخدمة شعبية عامة. وكان ذلك القانون هو البداية الحقيقية لتنظيم العمل الإذاعي في الولايات المتحدة والذي أدى في نهاية المطاف إلى تأسيس هيئة الاتصالات الفيدرالية.

انتشار المحطات الإذاعية في العالم

بعد فترة وجيزة من تلك التجارب الناجحة انتشرت المحطات الإذاعية في كثير من بقاع العالم. فشهدت بريطانيا بداية أول برنامج إذاعي في عام 1922م. وفي نفس العام بدأ راديو فرنسا

بث برامجه من محطة إرسال ببرج إيفل الشهير، ثم لحقتها ألمانيا بإقامة محطة إذاعية عام 1923م. وبعد عام واحد فقط كانت كل دول أوربا الغربية والشرقية بلا استثناء قد أدخلت محطات إذاعية في بلدانها. وبحلول عام 1925م صار في العالم حوالي ستمائة إذاعة. وخلال عشر سنوات فقط تضاعف ذلك العدد، حيث دخلت الخدمة الإذاعية في معظم الدول المهتمة بالتصنيع التقني واستيراد الأدوات الحديثة من الدول التي طورت منتجاتها في هذا المجال مثل ألمانيا وبريطانيا والولايات المتحدة.

وبالمقابل تنوعت وتكاثرت أجهزة استقبال الراديو التي ساعدت على التقاط هذه المحطات. وقد أجرى خبراء منظمة (**اليونسكو**) التابعة للأمم المتحدة في عام 1978م إحصائية لعدد أجهزة الراديو المستخدمة في دول العالم المختلفة فوجدوا أن العدد قد وصل آنذاك إلى 922 مليون جهاز لم تلبث أن تضاعفت بصورة مذهلة بحلول عام م.1990م.

بعد ذلك استمر العددُ في الازدياد حتى أصبح الراديو تقريباً في كل مكان. ووسط هذه التطورات لم يعد أحد يتصور وجود بلدٍ من بلاد العالم بلا محطة إذاعية. كما أصبح من الصعب فعلاً على أي دارسٍ أن يجزم بحجم التلقي أو عدد الأجهزة المستخدمة بالفعل في الالتقاط. وأصدرت منظمة (**اليونسكو**)

التابعة للأمم المتحدة في ديسمبر عام 1995م تقريراً حول إحصائيات أجهزة الراديو المستخدمة في العالم مفاده أن هذه الاحصاءات لم تعد سهلة، بل إنها لم تعد ذات جدوى بعد أن أصبح كل فرد رشيد تقريباً يمتلك جهازاً للاستماع خصوصاً بعد انتشار موجة الراديوهات الصغيرة ذات السماعات التي يتحرك بها الشباب والأطفال من الجنسين في كل مكان، خصوصاً في بلاد أوروبا وآسيا والأمريكتين.

وقبيل حلول عام 2000م أكدت دراسة اليونسكو أنه قد أصبح بمقدور كل فردٍ على وجه الأرض أن يمتلك جهاز راديو بعد أن دفعت الشركات بكمياتٍ هائلة منها إلى الأسواق في أشكالٍ مختلفة ومستوياتٍ مختلفة وبأسعارٍ متباينة مكنت حتى الأطفال من اقتناء الأجهزة التي يريدونها.

وبعد أن كانت الإذاعات تستخدم نظام الموجات القصيرة بدأت في التخلي عنها تدريجياً بإدخال نظام الموجات المتوسطة وموجات التشكيل الترددي (FM)، ثم نظام التقنية الرقميةDigital الذي وفَّرَ نسبةً كبيرة من الطاقة.

وفي دراسةٍ أجرتها (**مجلةُ الإذاعات**) في عددها الرابع لعام 1998م لتحليل آفاق تطور الإذاعة في عصر البث الفضائي والمعلومات أشارت إلى أنَّ جهاز التقاط الإذاعة سيقترب في المستقبل

المنظور من جهاز الكومبيوتر الحالي، وستكون له شاشة رقمية لبث النصوص والصور وعدة خدمات أخرى مثل الأحوال الجوية ونتائج المقابلات الرياضية وشبكة البرامج. كما سيصبح بالإمكان تسجيل أي برنامج حسب طلب المستمع وتقديم آخر نشرات الأخبار في الوقت المناسب. ثم إنَّ التكامل مع الهاتف وشبكة الإنترنت سيساعد على تسجيل ردود فعل المشاركين مباشرةً في البرامج التعليمية التي تبثها الإذاعات وتقويمها.

الإذاعة في العالم الإسلامي

عرف العالم الإسلامي المحطات الإذاعية في عام 1925م، حيث دخلت الإذاعةُ (**الجزائر**) في ذلك الوقت المبكر. وفي نفس ذلك العام أدخل بعض الأفراد في العاصمة المصرية (**القاهرة**) محطات إذاعية صغيرة كانت تبث بعض البرامج القصيرة والغناء. ولكن سرعان ما تدخلت الحكومة المصرية وأوقفت نشاط تلك المحطات مفسحةً بذلك المجال لأول محطة إذاعية رسمية تتبع للدولة في عام 1934م.

وبعد فترة قصيرة كان تأثير تلك الإذاعة ملحوظاً على قطاعات كبيرة من المواطنين حيث شجع ذلك على تكرار التجربة حتى انتشرت العدوى في معظم الدول العربية. وقد بدأ الإرسال الإذاعي في المغرب عام 1928م، وفي تونس عام 1935م، والعراق عام

1936م، والسودان عام 1940م، وسوريا عام 1941م، والأردن عام 1948م، والسعودية عام 1949م، والكويت عام 1951م، وقطر عام 1968م، وأبو ظبي عام 1969م، وعُمَانْ عام1970م. وبعد أن انتشرت الإذاعات في كل بقاع الدنيا صارت هناك محطات إذاعية تتبع للحكومات ومحطات مستقلة ومحطات للهواة.

وأصبحت في العالم عشرات المحطات التخصصية مثل إذاعات صوت الموسيقى التي تبث على موجات ال (F.M) والتي هي اختصار للكلمتين الإنجليزيتين (Frequency Modulation) ومعناهما (تواتر الذبذبات الصوتية). وموجات VHF التي هي اختصار للعبارة الإنجليزية (Very High Frequency) التي تعني الموجات الصوتية ذات الذبذبات العالية جداً، وإذاعات القرآن الكريم المنتشرة في معظم بلاد العالم الإسلامي، وإذاعات صوت الإنجيل، وإذاعات الشباب، والإذاعات التعليمية التابعة لبعض المعاهد المتخصصة أو الجامعات المفتوحة في قارات العالم.

وشهدت كل تلك الإذاعات تطوراً هائلاً وتغيراً ملحوظاً في السنوات الماضية. حيث ساعدت أجهزة الإرسال الحديثة التي ظهرت مع اكتشاف (**المايكروويف**) Microwave على وصول الرسالة الإذاعية بشكل أسهل وأفضل مما كان في الماضي. وكسرت الإذاعات الحواجز حتى صار بمقدور أي فرد في أي مكان من العالم أن يلتقط البرامج التي تروق له من أي محطة إذاعية وفي أي وقت يشاء من

خلال الموجات القصيرة. وبما أنَّ جهاز الترانزستور الصغير قد حلَّ محل الأجهزة التقليدية للراديو (Valve) في عام 1945م فقد أدى ذلك إلى تسهيل مهمة الالتقاط بشكلٍ أفضل. إلا أن ذلك كله قد أصبح نظاماً عتيقاً عندما ظهرت الموجات المتوسطة MW وموجات الإف إم FM والموجات عالية الذبذبة VHF التي غيرت مستوى الأداء إلى الأفضل. ثم جاءت شبكة الإنترنت Internet العالمية ببداية عقد التسعينيات المنصرم لتسهم بدورها في نقل البرامج الإذاعية ضمن موادها بعد أن كانت تعتمد على الصحف والمجلات والصفحات الإلكترونية Home Pages.

وبحلول شهر مايو عام 2000م كانت معظم الإذاعات العالمية الكبرى قد أدخلت برامجها في شبكة الإنترنت العالمية، منهيةً بذلك حقبةً من تاريخ الإذاعة ومستشرفةً آفاق حقبةٍ جديدة تشيرُ كل الدلائل إلى أنها ستكونُ أفضل من سابقتها من حيثُ قوة الإرسال وقلة التشويش ونقاء الصوت.

الإرسال الإذاعي Radio Transmission

لقد شهدت الإذاعات تطوراً هائلاً وتغيراً ملحوظاً عبر السنوات خصوصاً بعد أن حلّ جهاز الترانزستور Transistor الصغير محل الأجهزة التقليدية القديمة والضخمة للراديو والتي كانت

تسمى Valve مما سهل كثيراً مهمة التقاط البرامج الإذاعية. وقد ساعدت أجهزة الإرسال الحديثة التي ظهرت مع اكتشاف المايكروويف Microwave واختراع الأقمار الصناعية Satellites على وصول الرسالة الإذاعية بشكل أفضل مما كان في الماضي.

وكسرت الإذاعات الحواجز حتى صار بمقدور أي فرد في أي مكان من العالم أن يلتقط البرامج التي تروق له من أي محطة إذاعية وفي أي وقت يشاء. وكان من تأثير التنافس على الأثير أنّ معظم الإذاعات قد بدأت تطور برامجها، وتبذل جهوداً مضاعفة لاستمالة المزيد من المستمعين. وبالفعل ظهرت بعض الإذاعات التي خلقت لنفسها سمعةً عالميةً مثل:

- **هيئة الإذاعة البريطانية** (BBC) التي توسعت خدماتها توسعاً أفقياً هائلاً خلال السبعين عاماً الماضية. وظلت تبث برامجها بأربع وثلاثين لغة طوال اليوم.

- **إذاعة صوت أمريكا** (Voice of America) التي تبث برامجها لمعظم بقاع العالم بست وثلاثين لغة.

- **إذاعة فرنسا** (Radio France) التي تبث برامجها للمستمعين بأربع وثلاثين لغة.

□ **إذاعة موسكو** (Radio Moscow) وهي الإذاعة التي ضربت الرقم القياسي في عدد خدماتها المتخصصة لشعوب العالم، حيث ظلت تبث برامجها لكل دول العالم باثنتين وثمانين لغة.

وبالطبع فإنّ كل هذه الخدمات الإذاعية تحمل رسالةً واحدة من الدولة التي تملك الإذاعة وتترجم تلك الرسالة إلى مختلف اللغات المستخدمة في البرامج مع إضافات وحذف لما قد يقتضيه الموقف من خدمة لأخرى.

وقد استفادت محطات الإذاعة من تطور علم الاتصال الذي أصبح منهجاً يدرّس في الجامعات والمعاهد المتخصصة بعد أن كان اجتهاداً مهنياً يعتمد على التجارب الخاصة في الماضي. وبفضل هذا العلم ازدادت الحصيلة المعرفية للعاملين في مجال العمل الإذاعي فطوروا أساليب الإخراج الإذاعي، وغيروا شكل إعداد المادة الإذاعية، وعرفوا طريقةً أفضل لاستخدام المؤثرات الصوتية.

التشويش الإذاعي

ظلَّ التشويش هاجساً مؤرقاً للإذاعات طوال السنوات التي سبقت ثورة الأجهزة الرقمية Digital Systems لأنَّ كل مَنْ يُقدم برنامجاً للمستمعين يظلُّ حريصاً على أن يصل هذا البرنامجُ إلى

كل المستمعين بصورةٍ جيدة. ولكن حينما يبدأ هذا البرنامج في قطع الفراسخِ والأميال ليصل إلى المتلقين فإنه يتعرض للعديد من العوامل الخارجة عن الإرادة والتي قد تؤدي إلى فقدان البرنامج لكثيرٍ من عناصره الفنية.

ويقول مارشال ماكلوهان أحد علماء الاتصال الأمريكيين الذين وضعوا أسس علم الاتصال: (**لا توجد رسالة كاملة 100٪ عبر قنوات الإتصال**). ومعنى هذه العبارة أنَّ الرسالة الإعلامية تصل ناقصةً إلى المتلقي في جميع الأحوال بسبب معوقات عديدة تعترضها دون إرادة الأطراف المعنية بها.

وهذه المعوقات قد تكون ناتجة من المرسل وهو المحطة الإذاعية، أو من القناة الناقلة التي قد تكون رديئة أو بها ضعفٌ في مستوى الكفاءة العملية فتخرج الرسالة ناقصةً من مصدرها، أو قد يتعلق النقص بأجهزة الاستقبال فلا تكون الراديوهات ذات كفاءة جيدة لاستقبال المحطات بسبب القدم، أو ضعف البطاريات، أو قد تكون بها أعطالٌ فنية تؤدي إلى رداءة الاستقبال.

وقد يكون ضعف الرسالة الإذاعية ناتجاً عن سوء الأحوال الجوية مثل البروق والأمطار، أو أشعة الشمس الساخنة التي تؤدي لضعف الذبذبات الصوتية الواصلة إلى أجهزة الاستقبال. وعموماً لا توجد رسالة مكتملة مائة في المائة لسببٍ أو لآخر. وهذه الأسبابُ كلها قد تؤدي إلى تشويش الرسالة الإذاعية. والتشويشُ قد يكونُ

مقصوداً لذاتهِ، أي يحدثُ نتيجةَ فعلِ فاعل باستخدامِ إحدى أساليب التشويش الفنية وهو ما كانت تقوم به بعض الأنظمة والإذاعات التابعة لبعض الدول بشكل مقصود للتأثير على محطاتٍ بعينها.

وفي هذا الصدد وضعَ العديدُ من الاتصاليين تعريفاتٍ للتشويش لعلَّ أشهرَها: **(التشويش هو إذاعةُ أصواتٍ عالية على نفس الموجة أو بالقرب من موجةِ المحطةِ التي تَبُثُّ برامجَ غيرَ مرغوبِ الإستماعُ إليها في مُجتمعٍ ما. ويتمُ إرسالُ إشارةٍ قويةٍ على نفسِ الترددِ الذي تَستخدِمُهُ محطةُ الإرسال لجعلِ إرسالها غيرَ مسموع)**.

إنَّ عملية التشويش بهذا الشكل المصطنع يمكن التغلب عليها، ولكن بجهودٍ صعبة. حيث تقوم الإذاعاتُ بعملياتٍ مضادة للتشويش، وهي أن تتحول من زاوية البث المعتادة في إطار نفس الموجة المشوشة.

وتظل المحطة التي تمارس التشويش في حالةٍ من القلق تتابع تحركات الإذاعة المقصودة مما يؤدي لإتعاب الطرفين. وعيب التشويش الأساسي أنه يزعج المستمع مثله مثل طنينِ البعوضة في الأذن الذي لا يتحمله أحد. ولا يستطيع إنسان أن يتابع إرسالاً إذاعياً مشوشاً مهما أُوتي من قوةِ التحمل. وتشويشٌ لمدة خمسِ أو عَشرِ دقائق يومياً كفيلٌ بأن يجعل المستمع يحجم عن الاستماع

لهذه الإذاعة أو تلك فيتحول عنها إلى غيرها دون أي تردد، ورُبَّما إلى غيرِ رجعة. وقد كان التشويش أكثر الوسائل انتشاراً لمنع وصول الإذاعات الأجنبية إلى المواطنين، خصوصاً ما كان يقوم به الاتحادُ السوفيتي السابق في ظل النظامِ الشيوعي الذي انتهى في أواخر عِقدِ التسعينيات من القرن العشرين. حيث كانت الدولة تعمل على منع مواطنيها من الإستماع إلى برامج الإذاعات الأجنبية الموجهة إليهم من (**هيئة الإذاعة البريطانية**) BBC وإذاعة (**صوت أمريكا**) VOA بغرض التأثير السياسي عليهم ضدَّ سياسات الحزب الشيوعي المتحكم في الكرملين.

ومن ضمن الأساليب التي لجأت إليها الحكومة السوفيتية لمنع مواطنيها من الاستماع إلى تلك البرامج قامت بتوزيع أجهزة راديو صغيرة على السكان لا تلتقط إلا (**إذاعة موسكو**) وحدها. وكانت الرقابة مكثفة على الدولة حتى لا تتسرب برامجُ تلك الإذاعات إلى داخل جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابقة.

وظلَّ الروس يمارسون ذلك التشويش بشكل مستمر طوال سنوات الحرب الباردة. ولم يتوقفوا عنه إلا عندما غيَّرَ الرئيس الأسبق (**ميخائيل غورباتشوف**) موازين السياسة بين بلاده والغرب بطرحه لفكرة البريسترويكا التي قضت على القبضة الشيوعية، وأنهت حالة التوتر التي فرضتها سنواتُ الصراعِ مع الغرب، ثم قضت في نهاية المطاف على الاتحاد السوفيتي نفسِهِ.

وكانت الدولُ الغربيةُ قد احتجت على مبدأ التشويش على الإذاعات في عام 1948م، وظلت ترفع صوت الاحتجاج في كل المحافل الدولية ضدَّ هذا الأسلوب. حيثُ اعتبرته الولايات المتحدة انتهاكاً صارخاً لاتفاقية الاتحاد الدولي للمواصلات، لأنه وفقاً للقانون الدولي عملٌ محظور وتجبُ محاربتهُ.

ومع بداية الثورة الإذاعية في العالم والتي غيرت نمط الحياة على الأرض عُقدت مؤتمراتٌ علميةٌ سُميتْ (**مؤتمرات الراديو الدولية**). وقد فَرَضت المنظماتُ الدوليةُ من خلال تلك المؤتمرات حظراً رسمياً على البث الذي يتداخل مع خدمات الراديو في الدول الأخرى.

ولما كان التشويش يمثل انتهاكاً واضحاً لمبادئ حرية المعلومات فقد طلبت الجمعية العامة للأمم المتحدة من حكومات الدول الأعضاء فيها الامتناع عن ممارسته التي تحرم الشعوب الأخرى من حريتها في تلقي المعلومات.

وقد ثبت أن التشويش يؤثر أيضاً على إرسال الإذاعات التي تستخدم قنوات إذاعية متقاربة وليس فقط الإذاعات المقصود تشويشها. وهو بذلك قد أضرَّ بجهاتٍ عديدة لا ذنب لها ولم تدخل أساساً في حرب الأثير التي أملتها ظروف السياسة. ولكن بالرغم من كل الانتقادات التي وُجِّهَتْ للتشويش على مستوى المنظمات العالمية إلا أنه مُورِسَ في كثيرٍ من البلدان.

ضعف الإرسال الإذاعي

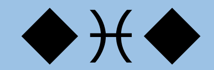
إنَّ ضعف الإرسال الإذاعي في كثير من الأحيان يؤدي إلى نتائج سلبية شبيهة بتلك التي يؤدي إليها التشويش. والضعفُ عادةً ما ينتجُ من تعرض الموجات الصوتية للتسخين بواسطة أشعة الشمس حيثُ تفقدُ قوتها على نقل الأصوات. ولذلك يكون الإرسالُ في النهار أضعف منه في الليل بالنسبة للإذاعات التي تتعامل مع الموجات القصيرة.

والنتيجةُ هي تشتتُ الانتباه وعدمُ مواصلة الاستماع للرسالة المطلوبة. ولذلك فاللغة المستقاة من الراديو سواء عن طريق التعليم المباشر أو غير المباشر تتعرض كثيراً للمنغصات التي يتسبب فيها ضعفُ الإرسال. ولا يستطيعُ أحدٌ أن يدَّعي أن هناك مستمعاً تمكن من متابعة إذاعةٍ ضعيفةِ الإرسال.

وبحمد الله فقد أسهمت تقنياتُ الاتصالِ الحديثة في فتح آفاقٍ جديدة للإذاعات تخطت بها هذه المعضلة وهي أجهزةُ الإرسالِ الرقمية. والفضائيات التي تنقل الإرسالَ الإذاعي. ومنذ تعميم هذه الأجهزة في أواخر عقد التسعينيات المنصرم أصبح الإرسالُ الإذاعي عالي الجودة.

وقد أسهمت هذه الفضائياتُ أيضاً في تجويد الأداء اللغوي بعد أن ظهرت البرامج ذات الترددات الفضائية على هامش سعة الترانسبوندر Transponder الفضائي. وقد بدأ إرسالُ أقمارٍ صناعية

مختصة بالإرسال الإذاعي وحده دون منافسة التلفزيون أو الهواتف أو غيرها من وسائل الاتصال. وتستعد محطات الإذاعة الآن لتشفير برامجها بنفس الأسلوب الذي لجأ إليه التلفزيون قبل سنوات.



الفصل الخامس

❄❄❄❄❄

تطور الإعلام المرئي

الفصل الخامس

تطور الإعلام المرئي

❄❄❄❄❄

السينماء Cinema

يعتبر إدوارد ميبريدج Edward Maybridge وتوماس أديسون Thomas Edison أكثر المسهمين في إنشاء ونهضة السينما في أمريكا التي كانت البادئة بهذا الفن في العالم. فقد كان ميبريدج هو المؤسس لعملية التصوير المتحرك، في حين اخترع توماس أديسون جهاز العرض السينمائي Projector المسمى كينيسكوب Kinescope.

وبعدها أسس أديسون شركة الامتياز للصور المتحركة (Motion Picture Patents Company (MPPC التي كانت مهمتها توزيع الأفلام السينمائية. كانت فترة الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين (1930م و1940م) هي العصر الذهبي للسينماء حيث تطور فيها دور الأستديوهات السينمائية وازداد فيها عدد المتفرجين والمهتمين بالسينماء.

وكان عام 1946م هو العام الأفضل على الإطلاق في عالم السينماء الأمريكية بحكم أن دور العرض السينمائي قد باعت في ذلك العام وحده 4 بلايين تذكرة محققةً الرقم القياسي في

المبيعات. أما في عالم اليوم فإن الجمهور الذي يرتاد دور العرض السينمائي قد تناقص حتى وصل إلى بليون فقط وفقاً لإحصائيات دور العرض العالمية. وسبب ذلك هو دخول الأجهزة الحديثة لعرض الأفلام في المنازل كالفيديو وجهاز تلعيب الأسطوانات المضغوطة فضلاً عن قنوات الأفلام العديدة من محطات التلفزيون المنتشرة حول العالم.

وفي محاولة لاستعادة ما فقدته دور العرض السينمائي من دخل فقد لجأت لرفع أثمان المأكولات والمرطبات التي تقدمها للجمهور مع منعها دخول أي مأكولات من الخارج. وقد لجأت دور العرض لهذا الإجراء عندما وجدت أنَّ من الصعب رفع قيمة التذاكر مما قد يتولد منه فقدان أعداد أكبر من الرواد.

ولكن رغم ذلك يبقى فن مشاهدة الأفلام في دور العرض أفضل كثيراً من عرضها على الفيديو أو شاشات التلفزيون وذلك لطبيعة صالات العرض ذات الشاشات الضخمة والمؤثرات القوية وطبيعة المشاهدة الجماعية التي تغري بالتفاعل مع الأفلام أكثر من غيرها.

السينما والفيديو

عندما شعرت دور الإنتاج السينمائي بخطورة التلفزيون على عروضها لجأت للاستفادة من ثورة الفيديو، حيث أصبحت هي

التي تنتج أفلام الفيديو جنباً إلى جنب مع الأفلام السينمائية. مما ساعد بدوره في تحقيق أرباحٍ جديدة أسهمت في إقالة عثرة السينما مالياً. وأصبحت الشركات المنتجة تتعامل مع سوق المستهلكين عن طريق بيع الأفلام بصفقات الجملة Packages بكل مستلزماتها من أوراق العرض الدعائية الضخمة والأسطوانات وأشرطة الفيديو والمطويات وغير ذلك مما يدخل في تجارة الجملة. وقد جعل هذا الأسلوب من الصعب على الشركات الصغيرة والأفراد أن ينافسوا في سوق الإنتاج السينمائي.

رواد السينماء

تقول دراسات المشاهدة إن معظم رواد السينما اليوم هم من الشباب دون سن الثلاثين. ولذلك سعت شركات الإنتاج العالمية لتصميم أفلام ترضي أذواق هذه الشريحة الاجتماعية التي تفضل الإثارة والأفلام الشبابية ذات الحركة.

وفي محاولاتها لجذب أكبر قطاعات من المشاهدين لجأت السينما طوال تاريخها للعديد من أشكال القصص التي حولتها إلى أفلام مثل موجة الكاوبوي Cowboy التي ظلت لعقود من الزمان تسلب لباب المشاهدين حول العالم وذلك لما فيها من إثارة وحركة وتحريض على القتال. وجاءت أفلام مطاردة السيارات Car Rasing

التي شدت بدورها أعصاب المتفرجين وزادت من جمهور السينما.
ودخلت موجة أفلام الخيال العلمي التي فرضت نفسها من خلال العديد من أفلام غزو الفضاء ودخول عوالم مجهولة تعيش في خيال الكتاب والمنتجين والمخرجين. كما انتشرت في بعض المراحل أفلام الروايات الرومانسية مثل: فيلم أستاذي لك حبي To Sir with Love للمثل سيدني بواتير، وفيلم تايتانيك Titanic لليوناردو ديكابريو وكاتي ونسليت، وفيلم دكتور زيفاجو Dr. Zifago لعمر الشريف، وفيلم اللون الأرجواني Color Purple لووبي قولدبيرج، وفيلم امرأتان Two Women, لصوفيا لورين، وفيلم قادم لأمريكا Coming to America لإيدي ميرفي وأرسينيو كول.

كما انتشرت الأفلام الاستعراضية ومنها: فيلم البنات Girls للممثل والمطرب ألفيس برسلي، وحمى ليلة السبت Saturday Night Fever للممثل الراقص جون ترافولتا. وجاءت موجة الأفلام التسجيلية لحياة العظماء ومنها فيلم غاندي Ghandi الذي لعب بطولته الممثل البريطاني بن كنجسلي، وفيلم الخرطوم Khartoum الذي استعرض قصة الثورة المهدية في السودان وقام ببطولته الممثل البريطاني الشهير سير لورنس أوليفيه الذي لعب دور محمد أحمد المهدي، وفيلم عمر المختار الذي لعب فيه دور البطولة أنطوني كوين، وفيلم مالكولم إكس للمثل الشاب دانزل واشنطن Denzel Washinton. وفيلم زوجة القسيس Preacher's Wife للمثلة والمغنية

ويتني هيوستن وغيرها من الأفلام التي راجت في أخريات القرن العشرين.

دور فرنسا في السينما

جعل السينمائي الفرنسي جورجس ماليس Georges Melies من السينماء قناة للخيال المفرط كأحد أساليب الإمتاع والإبداع. في حين عمد إدوين س. بورتر Edwin S. Porter لتأليف أفلام سينمائية تحمل قصصاً متسلسلة. وابتكر د. قريفيث D..W. Griffith الأفلام الطويلة. وكان الأخوان لومير Two Brothers Lumere في فرنسا قد حولا السينما من العروض المغلقة في غرف التصوير إلى ساحات المسارح المكشوفة التي أصبحت دوراً متخصصة في العرض السينمائي.

الأفلام السينمائية

نسبة لما يلقاه الفلم السينمائي من نجاح كبير في استهواء الجمهور وعرض الروايات بطريقة واقعية وجذابة وما لفن صناعة السينما من تقدم تكنولوجي أدى إلى استخدام الكثير من الحيل التصويرية في خلق مواقف مثيرة وإعادة الحوادث القديمة فقد تم استغلال هذا الفن بصورة موسعة لعمل أفلام ساعدت كثيراً في

شرح وتبسيط كثير من النظريات العلمية المعقدة التي لا يمكن مشاهدتها في الحياة الواقعية كعملية التنفس عند الإنسان والنبات، والدورة الدموية، والمسائل الرياضية، والفلكية، وتعليم اللغات، ودراسة التاريخ، بالإضافة إلى صور الحياة في جميع أنحاء العالم وفي المناطق التي لا يسكنها البشر في أعماق البحار والمحيطات وفي الفضاء الخارجي وعلى سطح الكواكب.

المجموعات التي تصنع السينما

هناك أربع مجموعات رئيسية من المختصين هي التي تحرك دولاب السينما في معظم بقاع العالم اليوم، وهذه المجموعات هي:

1. الكُتَّابْ والمنتجون، وهم الذين يؤلفون القصص والروايات ويصيغون السيناريو.

2. المستثمرون، وهم الذين يدفعون نفقات إنتاج الأفلام الباهظة.

3. الموزعون، وهم يشترون الأفلام ويوزعونا حول العالم عن طريق البيع والاستئجار.

4. العارضون، وهم ملاك دور العرض السينمائية التي تقوم بعرض الأفلام عن طريق استئجارها من الشريحة الثالثة (الموزعين).

وبهذا التقسيم نجد أن السينما قد تفردت بهذا الوضع الذي لا نجده في بقية قنوات الاتصال الجماهيرية. ويقول المهتمون بالسينما إنها قد واجهت في العشرينيات من القرن العشرين المنصرم مشكلتين هامتين هما:

1. فضائح شملت العديد من نجوم السينما.
2. الانتقاد الشديد بأن محتويات القصص التي تقدمها الأفلام السينمائية قد أصبحت صريحة ومكشوفة أكثر من اللازم.

هوليوود عاصمة السينما

ظلت السينما منذ بدايتها فناً باهظ التكاليف لا يتصدى له إلا الموسرون من ذوي الأموال الطائلة. ولكن عندما شعر الجميع بأهمية السينما بدأ نفر من صغار الممثلين والمخرجين والمنتجين الأمريكيين يبحثون أساليب تساعدهم لإنتاج أفلام لا تكلفهم مالاً. وبحثوا عن أستديوهات رخيصة تشجعهم على ذلك ولكنهم فشلوا بحكم المنافسة القوية التي فرضها عليهم كبار الملاك لدور الإنتاج

السينمائي. وعندها بدأ أولئك الشباب الطموحين في البحث عن أساليب جديدة ورخيصة للإنتاج تتفق مع إمكاناتهم المتواضعة. ومن أكثر ما كان يزعجهم هو دفع أثمان الإضاءة الباهظة التي استأثرت بها أستديوهات الإنتاج في العديد من الولايات.

وبعد تفكير طويل اهتدوا للتسجيل تحت ضوء الشمس الساطعة التي يمكنها أن تحل لهم مشكلة الإضاءة. وبدأوا يبحثون عن مكان تكون فيه الشمس مشرقةً ودافئة ومريحة فعثروا على قرية صغيرة تسمى هوليود Hollywood توفرت فيها هذه المواصفات.

وما كان منهم إلا أن حطوا رحالهم فيها وبدءوا تصوير أفلامهم دون مقابل يدفعونه لأصحاب الإضاءة الباهظة في الأستديوهات. ورويداً رويداً زحف الكثيرون نحو هذه القرية لتسجيل أفلامهم مما جعل منها أكبر عاصمة للسينما في العالم. وقد أصبحت أستديوهات هوليود الآن أكبر مكان للإنتاج والتوزيع والعرض لآلاف الأفلام لا تفوقها في العدد إلا الهند التي هي الدولة الأولى من حيث غزارة الإنتاج السينمائي في العالم.



التلفزيون Television

ظهرت كلمة تلفزيون Television لأول مرة في التاريخ البشري في شهر يونيو عام 1907م وذلك في مقالٍ نُشر بمجلة أمريكيةٍ متخصصة عنوانها: أمريكا العلمية Scientific America. وكانت التجارب التي أجراها عدد من العلماء قبل ذلك في محاولة لإرسال الصورة تسمى: التصوير اللاسلكي Visual Wireless، وسماها بعضهم: الراديو المرئي Visual Radio وأيضاً أطلقوا عليها اسم: الرؤية الإلكترونية Electric Vision.

وكانت تلك التجارب قد تأثرت مثلها مثل تجارب الراديو باختراع التلغراف لصمويل مورس عام 1835م واختراع التلفون لألكساندر جراهام بيل عام 1876م واكتشاف الموجات الأثيرية على يد العالم الألماني هينريك هيرتز.

وكان أول تصنيع للتلفزيون هو ما سمي نبكو ديسك Nipkow Disk الذي طوره المهندس الألماني الشهير بول قوتليب نبكو Paul Gottlieb Nipkow في عام 1884م. وهو عبارة عن أسطوانة دائرية مسطحة عليها سلسلة من الثقوب الصغيرة التي ساعدت في توضيح الصور.

وبعد ذلك جاء جون لوقي بيرد John Logie Baird فطور جهاز نبكو بإضافة خلية للتصوير الإلكتروني Photoelectric cell في

الجهاز. وقد استخدم بيرد إحدى أسطوانات نبكو لتصوير المشهد وأخرى لاستقبال الصورة. وقد قامت هذه الخلية التي وضعها مستر بيرد بتحويل الضوء من مشهد مصور إلى ذبذبات كهربية أمكنها أن تظهر المشهد متحركاً عندما يتم تلعيبه عبر جهاز التشغيل.

ولطبيعته البسيطة فشل جهاز نبكو عندما أريد له أن يسهم بتقديم إرسال تلفزيوني بحجم أكبر وسرعة أكبر. وكان جهاز التلفزيون الحقيقي الذي لعب دوراً في الإرسال هو ما ابتكره بعد ذلك عالم الفيزياء الأمريكي من أصل روسي فلاديمير كوسما Vladimir Kosma في عام 1923م وأنبوب الصورة الذي اخترعه مهندس الراديو الأمريكي فيلو تيلور Philo Taylor بعد ذلك بفترة وجيزة. وكان أول ما أرسل عبر شاشة غير ملونة وصغيرة لا تتعدى البوصة هو صورة صليب معكوف، ثم تطور الأمر في شتى المجالات حتى وصل إلى ما وصل إليه بمرور الزمن.

ولا شك أن التلفزيون قد لعب دوراً مهماً في حياة البشرية منذ أن أصبح حقيقةً واقعة كإحدى قنوات الاتصال الجماهيري. وقد أصبح إحدى معجزات العصر الحديث، حيث لم تمض سوى سنوات قليلة على اختراعه حتى أصبح أداة فعالة وساحرة من أدوات الاتصال. وتمكن الإنسان عن طريق الصورة والصوت والحركة واللون أن ينقل كل ما يريد إلى المشاهدين. وفضلاً عن ذلك فهو

وسيلة اقتصادية في الاتصال بالجماهير، ولذلك تم استخدامه بنجاح في إحداث كثير من التغيرات الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والسياسية. وتمكن رجال التربية من استخدامه كإحدى أهم الوسائل السمعية والبصرية الناجحة في التعليم وتغيير السلوك البشري بشكل أكثر فعالية.

خصائص التلفزيون

تميز التلفزيون بين قنوات الاتصال بالعديد من الخصائص التي جعلت منه جهازاً جذاباً ومؤثراً، وهذه الخصائص هي:

1. اعتماد التلفزيون على الصورة

إنَّ التلفزيون يعتمد على الصورة المتحركة التي تنقل للإنسان الحدث كما هو. وهذا الأمر يؤدي لتفاعل الإنسان المتلقي مع الحدث مهما كان شكله.

وصورة التلفزيون تتكون من مجموعة مرسومة من النقط الضوئية تظهر على الشاشة بواسطة شعاع إلكتروني، وهي لذلك ليست كالصورة الفوتوغرافية الثابتة. وهذه الحركة تؤدي للتغير المستمر في المادة المعروضة على الشاشة، مما جعل من صورة التلفزيون أداةً فعالةً وذات تأثير أقوى على المتلقي. وقد لاحظ

علماء الاتصال أن التلفزيون كوسيلة مرئية ساعد في تزويد الناس بكثير من المعلومات المرئية، وأن الصورة التلفزيونية المتحركة قد ساعدت جذب المشاهدين مما جعلها وسيلةً هامة لتغيير المفاهيم وخلق التغيير المنشود.

2. الاعتماد على الألوان والإضاءة

من خصائص التلفزيون أنه يعتمد على الألأوان والإضاءة.
وقد ثبت أن عنصر اللون من العناصر الجاذبة لعين المشاهد فضلاً عن الراحة التي يجدها الإنسان في تنوع الألوان وامتزاجها. وقد أسهم عنصر اللون المبثوث عبر الشاشات التلفزيونية في خلق راحة نفسية لدى المتلقين لأنه يجعل المادة المتلفزة أقرب إلى الواقع. وتجيء الإضاءة لتضيف لهذا اللون بُعداً آخر من الجمال والجاذبية. والإضاءة بالطبع لا تقف عند حد إظهار الصورة فقط وإنما تمثل في حد ذاتها قيمةً ذات بُعد علمي بالنسبة للحدث.

3. الإرسال الصافي عن الشوائب

لعبت يد التطوير دوراً هاماً في تنقية البرامج التلفزيونية بالشكل الذي حببها إلى المشاهدين. وقد تطور هذا النقاء بعد استخدام الأياف الضوئية والنظام الرقمي في الإرسال التلفزيوني.

ولم يكن النقاء في الصورة فحسب وإنما تخطاها إلى الصوت الذي وصل إلى حد الصفاء الكامل في معظم محطات التلفزيون في العالم. وإذا قارناه بصوت الراديو فإننا نجد أن الفرق شاسع، حيث اعتمدت الإذاعات كثيراً على إرسال برامجها عبر الموجات القصيرة التي تمر عبر الآتموسفير والآينوسفير، وهي طبقات حساسة لأشعة الشمس التي تضعفها طوال ساعات النهار.

أما التلفزيون فلا شأن له بهذه الموجات مما قلل من نسبة الضوضاء في الصوت المرسل عبر شاشاته. وقد أصبح هذا النقاء عنصراً أساسياً من عناصر تقديم المواد الموسيقية والغنائية والمؤثرات الصوتية المختلفة.

4. الإخراج الجذاب للبرامج

للتلفزيون أسلوبه الخاص في الإخراج مما جعله متفرداً بين وسائل الاتصال الأخرى. وجعله جاذباً للمشاهد. حيث ركز في إخراجه على الكثير من الجماليات واستخدام الحيل التصويرية والمزج عن طريق الكروما كي Croma Kee وغيرها من عناصر الإخراج التي وفرتها مفاتيح الكنترول وإمكانيات الكاميرات الحديثة. كما كان عنصر الألفة Intimacy قد ساعد في خلق حميمية من نوع متفرد بين الممثل والمشاهد في الإخراج التلفزيوني

الذي استعان بعدد أصغر من الممثلين على عكس السينما. ولم ينس التلفزيون توظيف الإضاءة والديكور في الإخراج مما جعله جاذباً لكل المشاهدين.

5. المشاهدة الجماعية

من خصائص التلفزيون التي تميز بها على الراديو والصحيفة والكتاب أنه يوفر مشاهدة جماعية في معظم الأحيان تجمع كل أفراد الأسرة في صالة واحدة أو غرفة هي التي يوضع عليها الجهاز. وهذا الأسلوب للمشاهدة تطور من أسلوب المشاهدة الجماعية بالأندية والمقاهي والميادين العامة عندما كانت التلفزيونات نادرة ولا يملكها الأفراد.

كان الناسُ يتقاطرون على مثل هذه الأماكن العامة في الأمسيات ليستمتعوا بالمشاهدة. وقد أدى هذا الأسلوب لتوفير جو من المشاركة الوجدانية في نقد وتقويم المواد المقدمة مما قرب بين الناس وخلق توليفة اجتماعية لعب التلفزيون دوراً هاماً في صنعها.

فوائد المشاهدة التلفزيونية

1 -إمكانية نقل الأحداث الجارية والأخبار ساعة وقوعها كزيارات الملوك والرؤساء، وافتتاح جلسات المجالس النيابية، والمظاهرات

الشعبية في الطرقات، والمباريات الرياضية ونقل الأحداث الحية كالحروب والكوارث وغيرها مما يجري في كل بقاع العالم.

2 -نقل كثير من الجوانب الثقافية والفنية والترفيهية المعنوية والمادية بكل أشكالها المحلية والعالمية والتعريف بمظاهر الحضارات، وأساليب العلم الحديثة، والإفرازات امتجددة للتقانة كالصناعات، والاختراعات، والاكتشافات العلمية.

3 -نقل الخبرات المعرفية للأشخاص ذوي المواهب والتخصصات النادرة، وذلك عن طريق عرض البرامج التسجيلية وتقديم المعلومات في قوالب حية وشيقة كعالم الحيوان، وعالم البحار، وحياة الشعوب، والكوارث الطبيعية، والأوبئة، ونقل الأمراض والجراثيم وغيرها مما يؤثر في حياة الإنسان وطبائع الشعوب المختلفة فضلاً عن طبائع الأشياء والكائنات المختلفة.

4 -نقل الخبرات الصعبة إلى المشاهدين كمتابعة العمل داخل المناجم والأفران ذات الحرارة المرتفعة، وتسلق قمم الجبال، أو الصراع مع الطبيعة في الغابات، والسير على سطح القمر واستكشافات الكواكب والمجرات وغيرها مما لا يتمكن الإنسان من الوصول إليه.

5 -نقل الكائنات الدقيقة التي لا تُرى بالعين المجردة وذلك عن طريق عرضها باستخدام التصوير الميكروسكوبي الذي مكن ملايين المشاهين من مشاهدتها لأول مرة عبر التلفاز.

التلفزيون والمحطات الفضائية

أخذ التلفزيون مكانه في معظم البيوت، وأخذت أجهزة الإرسال تنتشر في كل ركن من أركان العالم. وأصبحت البلاد الصناعية تمتلك أكثر من شبكة تلفزيونية ضخمة. وأصبح بمقدور سكان المناطق الآهلة بالسكان إدارة مفاتيح أجهزتهم ليحصلوا على برامج متنوعة لعدد كبير من القنوات يصل إلى العشرات في بعض الدول.

كما تطورت النواحي الفنية في الإرسال بشكل مذهل. وفي إطار الموجات الكهربائية الأرضية وباستخدام الإرسال العالي الذبذبات انتشر التلفزيون أكثر مما كان متوقعاً له في سنوات البداية.

وأدخل العلماء والفنيون تجديدات على أجهزة الإرسال اللاسلكية مكنتهم حتى الآن من الوصول إلى 18 بليون دائرة في الثانية وهو ما يعرف بنظام (جيجا هيرتز)، نسبة إلى العالم الألماني (هيرتز)، وبدأوا يستخدمون أشعة الليزر، والأشعة تحت الحمراء خلال الأثير للإرسال، حيث ظهر أن استخدام أشعة الليزر، والأشعة

تحت الحمراء قد أدت إلى تطورات واضحة عندما استخدمت بفعالية في العمل التلفزيوني. وتجوب الأجواء الآن أقمار صناعية منها: قمر (الطائر المبكر Early Bird)، وقمر (مولينا Molnyia)، وقمر (انتلسات Intelsat).

وقامت هذه الأقمار بإرسال البرامج التلفزيونية والإذاعية في كل قارات العالم رغم أن بعض القيود السياسية ما زالت تحد من إمكانيات الاستفادة منها في بعض الدول. وتمت إقامة محطات أرضية خاصة لها هوائيات ضخمة شديدة الحساسية استطاعت أن تلتقط الإشارات من الأقمار الصناعية وضخمتها لأبعد الحدود حتى تمَّ التقاطها بسهولة ويُسر.

التلفزيون في العالم العربي

دخل التلفزيون جميع الدول العربية، حيث بلغ معدل ساعات الإرسال التلفزيوني لكل محطة ما بين 25، 35 ساعة أسبوعياً باستثناء الكويت التي تبث 54 ساعة أسبوعياً، ومصر التي تبث 110 ساعة أسبوعياً على قناتين.

وتوجد 3 محطات أرضية في المنطقة العربية إحداها في لبنان وهي ترتبط بالقمر الصناعي المتمركز فوق المحيط الهندي، والثانية في الكويت، وقد ارتبطت بنفس القمر، والثالثة في الأردن

وهي ترتبط بالقمر الصناعي المتمركز فوق المحيط الأطلسي. وقد يسرت هذه المحطات الإرسال من هذه الدول إلى بقية أطراف العالم طبقاً للنظم الهندسية السائدة والمقررة كما يسرت أمر الاستقبال لديها على مدار اليوم.

أما دول المغرب العربي (تونس، والجزائر، ومراكش) فقد ارتبطت معاً بشبكات أرضية مكنتها من الارتباط بالشبكة الأوربية عن طريق وصلة أرضية أيضاً عبر جبل طارق.

طبيعة الصورة التلفزيونية

في البدء قال بعض المهتمين إن التلفزيون سيصبح جهازاً مختلفاً تماماً عن مجرد راديو مصور. وكان ذلك الرأي قد وجد قبولاً لدى الكثيرين. ثم قال آخرون إن التلفزيون سيصبح شيئاً مختلفاً عن مجرد سينما منزلية، وذلك أيضاً قولٌ قد أثار كثيراً من الدهشة على حد تعبير إريك بارنو.

وما أن بدأ السينمائيون يتابعون الأفلام في التلفزيون حتى تبينوا أنَّ عليهم أن يعتمدوا في الأفلام المعدة للتلفزيون على اللقطة القريبة المكبرة، وأن يقللوا قدر المستطاع من اللقطات البعيدة، وأن يركزوا على تقريب الصورة أكثر وأكثر من المتفرج. ذلك لأن هناك اختلافاً كبيراً بين صورة التلفزيون وصورة السينما من حيث

طبيعة الكاميرا المستخدمة في كل وسيط. ولتوضيح هذا الأمر فإننا إذا حاولنا تحديد الصورة التلفزيونية لإظهارها بشكل تفصيلي أكبر فإنها بصرف النظر عن التغيرات التكنولوجية لن تصبح كالصورة السينمائية أو حتى مقارنة لها.

وهنا يذكر عالم الاتصال الأمريكي الذي لعب دوراً كبيراً في ترسيخ علم الاتصال مارشال ماكلوهان Marchal Maclohan أنَّ الصورة التلفزيونية تعتبر حالياً بمثابة قطعة من الموزايكو التي تتكون من نقط مضيئة وأخرى معتمة، وأنها لا ترقى إلى مستوى الصورة الفوتوغرافية أو السينمائية مهما يكن.

ووجد منتجو البرامج التلفزيونية أنَّ عليهم ألا ينسوا ما في الإضاءة من سحر ودهاء. وعلى الفور بدأ الفيلم السينمائي ينفصل عن الفيلم التلفزيوني، حيث اتخذ الفيلم السينمائي الشاشة العريضة واهتم بالمناظر، وتعامل مع عدد أكبر من الممثلين حتى أجبر مؤلفيه على كتابة قصص يمثلها أكثر من سبعة أو ثمانية نجوم.

أما التلفزيون فقد طالب مؤلفيه بكتابة قصص لا تحتاج إلى أكثر من ثلاث شخصيات رئيسية في العمل الواحد بغرض تيسير الإخراج. ولذلك قال إرفنج جتلين أحد مخرجي التلفزيون: (**إنَّ التلفزيون ميكروسكوب وليس تليسكوب**).

أساليب الخدمات التلفزيونية

1. الإرسال العام Normal Transmission

ويطلق على الإرسال التقليدي الذي تبث فيه المحطة برامجها عبر أجهزة الإرسال العادية Transmitter فيلتقطها كل إنسان بجهاز التلفزيون المعتاد. وهذه الطريقة تكون محصورة دائماً في نطاق ضيق لا يتعدى مدى إرسال المحطة الذي قد لا يتجاوز حدود المدينة التي بها الإرسال وما جاورها.

ولكي تتسع دائرة الإرسال في مثل هذه المحطات التقليدية لجأت القنوات لاستخدام المايكرويف Microwave الذي ينقل الإرسال إلى أماكن أوسع وأوسع داخل حدود الدولة الواحدة. وهذا النمط من الإرسال غالباً ما يكون من نصيب المحطات الحكومية والرسمية التي تملها الدول في بلاد العالم الثالث وغيرها.

2. خدمة الكيبل Cable TV

شهد عام 1981م تطوير نوع جديد من الإرسال التلفزيوني هو التوليف بين خدمات القمر الصناعي والكيبلات التي توصل الإرسال لمن يريد مقابل مبلغ من المال يدفع للمشاهدة. وقد بدأ هذا النظام بنقل إحدى مباريات الملاكمة بين شوقر ري ليونارد Sugar Ray Leonard وتوماس هيرنس Thomas Hearns. ولأول مرة في تاريخ

التلفزيون استطاع المشاهدون متابعة مبارة مقابل 15 دولار لايشاهدها إلا من يدفع. وقد حققت المحطة التي قامت بذلك العمل مبلغ ثمانية ونصف مليون دولار من عائدات ذلك العرض مما أغراها بالمواصلة في تقديم برامج مقابل دفع Pay-Per-View. ومن يومها عمت هذه الخدمات التي نسميها خدمات الكيبل كل بقاع العالم محققة نوعاً من الخصوصية في انتقاء المواد عبر ما يسمى التشفير ووضعت برامج خاصة وفقاً لرغبات المشتركين.

3. الأطباق Dishes

في العاشر من يوليو عام 1962م أرسل القمر الصناعي الأمريكي ترايستار Tristar أول إرسال له. وقبل ترايستار كانت أسلاك النحاس تربط القارات رغم أن الأفلام والمواد المصورة ما كان لها أن تسافر إلا على متن الطائرات لتعرض من داخل أستديوهات الدول التي تشتريها. وبدأت الأقمار التجارية في عام 1965م بادئة بقمر انتلسات 11 INTELSAT الذي دشن في 1967م بادئاً إرساله بجزر هاواي.

وفي ديسمبر عام 1968م استشرف التلفزيون أفقاً جديداً في مجال الإرسال وذلك عندما انطلقت مركبة الفضاء أبوللو 11 إلى الفضاء الواسع. وبعد سبعة أشهر من ذلك شاهد الناس على شاشات التلفزيون عالم الفضاء نيل آرمسترونج Neil Armstrong وهو

يمشي على سطح القمر. واليوم أصبح أحفاد تلستار في كل مكان حيث بلغ عدد الأقمار كثيراً وهي ترسل على بعد 22000 ميل. ويستطيع القمر الواحد أن يحمل 30000 خط تلفون وأكثر من ثلاث قنوات تلفزيونية في لحظة واحدة. وأخيراً جعلت الأقمار الصناعية من المستحيل ممكناً.

قوة تأثير البرامج التلفزيونية

في دراسته عن التلفزيون في الحياة اليومية ذهب جاك ليل إلى القول إن التلفزيون أصبح عاملاً مؤثراً في حياة الأسر الأمريكية، وأصبح سائد الانتشار لدرجة أن هناك 96٪ من البيوت بها على الأقل جهاز واحد، وأن متوسط التشغيل اليومي للجهاز بلغ ست ساعات، لذلك فإن المهتمين بمعايير المجتمع وأخلاقياته قد اهتموا بدراسة التلفزيون وقلقوا من تأثيره الخطير. ولذلك قاموا بإجراء كثير من الدراسات الميدانية والمعملية والنظرية حول تأثيره ودوره في حياة البشر.

كما أجروا دراسات على نوعية المشاهدين، ومدى تركيز انتباههم على الشاشة، ونوعية البرامج المفضلة، واتجاهاتهم نحو التلفزيون. ومن بين نتائج الدراسات الحديثة في أمريكا أن معظم الناس قد أقروا أن مشاهداتهم كانت ذات قيمة، وأنهم قد تعلموا الكثير مما شاهدوه، وأنهم قد حصلوا على معلومات عن الشخصيات

العامة والأحداث والتاريخ والطقس والأرصاد وغيرها. وقد أقرت شريحة من كبار السن أنهم اكتسبوا ما يمكن أن نسميه بالتعلم الاجتماعي، والتعلم عن العالم، وكيفية معالجة المواقف الاجتماعية، وكيفية الانسجام مع المشاكل الشخصية، وعن فهم ذواتهم، وطريقة اتخاذ القرارات.

أما الآباء فقد أقر كثير منهم بأنهم صاروا مقلدين في معاملاتهم لأطفالهم لنماذج المعاملة التي يشاهدونها على شاشات التلفزيون. وأقر كثيرٌ من المراهقين بأن التلفزيون قد قدم لهم توضيحات تتلاءم مع حياتهم. وأوضحت الدراسات أن كثيراً من المشاهدين يتقمصون الشخصيات التلفزيونية رغم أن هذا التقمص يتوقف على نوع الشخصية وسنها، وسلالتها، ومستواها الثقافي، فالإناث يتقمصن شخصيات أنثوية، والزنوج يختارون شخصيات زنجية وهكذا.

التلفزيون والتعليم

في الوقت الذي يبذل المجتمع جزءاً كبيراً من طاقته في تعليم أبنائه سواء في المدارس أو المعاهد أو الجامعات فإنَّ التلفزيون قد أسهم كثيراً في تعليم هؤلاء الأبناء ما لم يكن في حسبان آبائهم وأمهاتهم. كما أنه أسهم في تعليم العمال كيف يقومون بأداء

الكثير من الأشياء. وأسهم أيضاً في إقناع الناس باعتناق وجهات نظر معينة في حل المشاكل التي تجابههم. وبذلك أصبح التلفزيون من وسائل التعليم بشكله المباشر وغير المباشر. واعتبره العلماء واحداً من أخطر وسائل الاتصال الجماهيرية التي تحمل الرسالة إلى الملايين في لحظة واحدة، متفوقاً بذلك على الصحف والمجلات والأفلام السينمائية وحتى الراديو في كثير من الأحيان.

أسلوب المشاهدة

يقول العلماء إن أفضل أسلوب لمشاهدة التلفزيون يتطلب ضرورة إعداد المكان إعداداً خاصاً، حيث إن الوضع الأفضل أن يكون الجهاز موضوعاً على ارتفاع 4 أو 5 أقدام من أرض الحجرة، وأن تكون الشاشة كبيرة قدر المستطاع 20، 23، 29 بوصة الخ.. كما يجب أن تكون الغرفة مضاءة ضوءاً بسيطاً يوضع أعلى الشاشة وليس من خلف المتلقي حتى لا ينعكس على الشاشة فيزعج عين المشاهد.

كما أن المشاهدة الجيدة تقتضي أن يكون المشاهد مستريحاً في جلسته، مع ضرورة تهيئة ذهنه بشكل كامل للتلقي حتى لا يحدث له التشويش المتوقع في كل لحظة. ويفضل المختصون أن يتحرك المشاهد بين فترة وأخرى حتى لا يطيل

الجلوس أمام الشاشة لساعات طويلة مما قد يضر بالبصر ويتعب السلسلة الفقرية من طول الجلوس.

دراسة اتجاهات المشاهدة

كانت الفترة من 1950 -1960م فترة دراسة واختبار لاتجاهات الرأي في أوساط المشاهدين بغرض معرفة رغباتهم وما يريدونه من التلفزيون في الغرب لاسيما الولايات المتحدة الأمريكية. ولم يكن ذلك بغرض إشباع رغبات المتلقين فقط وإنما بغرض معرفة هذه الرغبات حتى يتم استغلالها لبث الأعمال الدعائية والإعلانات التجارية. ولذلك أسهمت البيوتات التجارية الغربية في إجراء هذه الدراسات.

وبعد ذلك كشفت سلسلة دراسات برامج التلفزيون والسلوك الاجتماعي التي تواصلت بشكل مستمر خلال الفترة من 1960 -1970م عن وجود عدة تغييرات في اتجاهات الناس إزاء التلفزيون. حيث أثبتت النتائج أن هناك وقتاً أطول يقضيه المشاهدون أمام شاشاتهم وإن كان مقدار الانتباه يتذبذب كثيراً.

وعند المقارنة مع سنوات البداية ثبت أن الناس كانوا يجلسون لساعات أطول أمام أجهزتهم، ثم قل تدريجياً زمن المشاهدة حتى أصبح الجهاز يعمل وأفراد الأسرة يدخلون ويخرجون من غرفة

إلى غرفة دون اكتراث في بعض الأحيان لما يُقدم. ولاحظ القائمون بأمر الدراسات مؤخراً أن جمهور المشاهدين أصبحوا أكثر نقداً للمواد التي يشاهدونها من السابق. وبدأ معظمهم يشكون من كثرة تكرار الإعلانات ومن ميلها إلى الخداع وعدم صحتها. وظهر هذا الانتقاد بصورة أكبر عند الشباب. ومن نتائج إحدى الدراسات أن التلفزيون بالنسبة للكبار لم يحل محل الأنشطة الأخرى، والأكثر احتمالاً أنه لجأ لملء الفجوات الزمنية التي كانت تستخدم في أنشطة أخرى.

النقد الموجه للتلفزيون

اتهمت كثير من الأسر المحافظة في كثير من بقاع العالم التلفزيون بأنه غير بناء، وأنه سيئ السلوك، ويكثر من أفلام العنف والمواد التي تخدش الحياء وتقلل من قيمة الفضيلة بين الناس. وعلى الرغم من أن الناس يتحلقون حول التلفزيون للاسترخاء من عناء العمل إلا أن التوتر قد أصبح ملازماً لكثير من المواد التي يشاهدونها.

وبالطبع فإن ذلك لا يساعدهم على الاستمتاع بما يشاهدون في بعض المحطات. وهناك أدلة على أننا نتعلم الكثير من التلفزيون، وأن بعض ما نتعلمه قد يكون مفيداً أو قد يكون ضاراً،

وأن هناك كثيراً من الأمهات قد أصابهن القلق من مشاهدة أبنائهن للتلفزيون. ولذلك أتجهت الدوائر التربوية إلى التركيز على أن المشاهدة تحتاج إلى توجيه وإشراف من قبل الآباء، والأمهات، والمعلمين. وذلك بغرض تكوين عادات طيبة في المشاهدة. وعليه فإن واجب الآباء أن يتحملوا مسئولية تعرض أبنائهم لبرامج التلفزيون.

وخلص البعض إلى القول إن التلفزيون جزء مكمل لحياتنا اليومية ولكنه نعمة ونقمة في وقت واحد. و كان الناس في الماضي يأخذون على التلفزيون أنه وسيلة اتصال من جانب واحد لا يستطيع المشاهد معه أن يسأل المتحدث أو يتفاعل معه أثناء تقديم البرنامج، ولكن بتطور أساليب العمل التلفزيوني واستخدام الهواتف وأساليب الاتصال الحديث أمكطن للتلفزيون أن يكسر هذا الطوق ويربط المشاهدين مع مقدمي البرامج طوال ساعات الإرسال فبرزت أشكال عديدة من البرامج التي تعتمد على الاتصال عن طريق ما يسمى The Call Inns.

اتجاهات التلقي لبرامج التلفزيون

تكشف سلسلة دراسات برامج التلفزيون والسلوك الاجتماعي عن وجود عدة تغييرات في اتجاهات الناس إزاء التلفزيون حدثت في الفترة من 1960 -1970 وما بعدها، فهناك وقت أطول

يقضى في المشاهدة وإن كان مقدار الانتباه يتذبذب كثيراً. في بداية ظهور التلفزيون كان الناس يشاهدون لمدة طويلة، ثم قل تدريجياً زمن المشاهدة واليوم يترك الجهاز دائراً وأفراد الأسرة يدخلون ويخرجون من الحجرة التي يوضع فيها.

ومن الملاحظات الحديثة أن جمهور المشاهدين أصبحوا أكثر نقداً لما يشاهدون، فالناس يشكون من كثرة تكرار الإعلانات ومن ميلها إلى الخداع وعدم صحتها، وهذا الانتقاد أكبر عند الشباب عنه عند الكبار.

ومن نتائج إحدى الدراسات أن التلفزيون بالنسبة للكبار لم يحل محل الأنشطة الأخرى، والأكثر احتمالاً أنه يستخدم لملء الفجوات الزمنية التي كانت تستخدم في مناشط غير بناءة وأن سيئ التكيف اجتماعياً كانوا كذلك بدون التلفزيون والنتيجة المقلقة هي أن الميالين إلى العنف أكثر ميلاً لمشاهدة البرامج العنيفة.

وعلى الرغم من أن الناس في البداية يشاهدون من أجل الاسترخاء إلا أن المشاهدة لا تساعد على عزلتهم أو انحرافهم اجتماعياً. وهناك أدلة على أننا نتعلم الكثير من التلفزيون، وأن بعض ما نتعلمه قد يكون مفيداً أو قد يكون ضاراً، وأن هناك كثيراً من الأمهات يقلقلن حول مشاهدة أبنائهن، ولكن في الواقع أن المشاهدة تحتاج إلى توجيه وإشراف من قبل الآباء والأمهات

والمعلمين والمعلمات. ولتكوين عادات طيبة في المشاهدة يجب أن يتحمل الآباء مسئولية تعرض أبنائهم لبرامج التلفزيون وذلك لأن التلفزيون جزء متكامل من حياتنا اليومية وإن كان هو نعمة ونقمة في آنٍ واحد.

ويعد التلفزيون أحد معجزات العصر الحالي، فلم يمض إلا سنوات قليلة حتى أصبح أداة فعالة من أدوات الاتصال حيث يمكن عن طريقه نقل الصوت والصورة والحركة واللون إلى المشاهدين. فضلاً عن أنه وسيلة اتصال ميسورة لإحداث الكثير من التغييرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في حياة البشر. وقد جعل هذا رجال التربية يستخدمونه كأحد الوسائل الناجعة في مجال التربية.

خصائص التلفزيون

1/ يعتمد على الصورة، وهي تتكون من مجموعة مرسومة من النقط الضوئية تظهر على الشاشة بواسطة شعاع الكتروني يجعلها تختلف عن الصورة السينمائية أو الفوتوغرافية. ويمكن تشبيهها طبقاً لتكوينها بأنها نوع من الحفر ذي اللون النصفي. وصورة التلفزيون تختلف عن الصور الأخرى بأنها متحركة ومتغيرة بصفة مستمرة. وهي بهذه الطريقة مفصلة بقدر تزايد عدد النقط الراسمة فلو أننا أردنا رسم شكل لزهرة مثلاً باستخدام عشر نقط

فإن الرسم سوف يكون مجرداً وفي غاية البساطة، وقد لا يدل على شكل الزهرة، في حين أننا لو استخدمنا عشرة آلاف نقطة مثلاً، فإننا سنصل إلى شكل يمثل صورة الزهرة نظراً لتفاصيلها الكثيرة.

2/ يعتمد التلفزيون على الألوان والإضاءة التي تريح العين وتبرز جماليات المادة المعروضة.

3. إرساله صافي وخالي في معظم الأحيان من الشوائب.

4. له جاذبية خاصة للمتلقين ساعد فيها أسلوب الإخراج المتميز والمتطور باسمرار.

5. يتميز التلفزيون بخاصية المشاهدة الجماعية داخل الأسرة أو الأندية والمحلات العامة.

6/ أصبح التقاط التلفزيون سهلاً عن طريق استخدام واحدة من أساليبه الثلاثة المعروفة، وهي:

1. الإرسال العام Normal Transmission،

2. الكيبل Cable TV،

3. الأطباق Dishes

وفي دراسته عن التلفزيون في الحياة اليومية ذهب الكاتب جاك ليل إلى القول إن التلفزيون أصبح عاملاً مؤثراً في حياة الأسرة الأمريكية، وأصبح سائد الانتشار لدرجة أن هناك 96٪ من البيوت تحتوي على الأقل جهازاً واحداً، وأن متوسط التشغيل اليومي للجهاز بلغ ست ساعات، لذلك فإن المهتمين بمعايير المجتمع وأخلاقياته يهتمون بدراسة التلفزيون ويقلقون من تأثيره على الأجيال، ويقومون بكثير من الدراسات الحقلية والمعملية والنظرية حول تأثيره ودوره في حياة الناس، ونوعية المشاهدين، ومدى تركيز انتباههم على الشاشة، ونوعية البرامج المفضلة لديهم، واتجاهاتهم نحو التلفزيون.

ومن بين نتائج الدراسات الحديثة في أمريكا أن معظم الناس يقولون إن مشاهدة التلفزيون حققت فوائد كثيرة، وإنهم يتعلمون الكثير مما يشاهدونه، وأنهم يحصلون على معلومات مفيدة من خلال الأخبار عن الشخصيات العامة والطقس والأرصاد وغيرها.

ولقد قررت عينة من كبار السن في أمريكا أنهم يكتسبون ما يمكن أن يُسمى التعلم الاجتماعي أو التعلم عن العالم، وكيفية معالجة المواقف الاجتماعية، وكيفية الانسجام مع المشاكل الشخصية، وعن فهم المشاكل الخاصة واتخاذ القرارات. وكثير من الآباء قد نقلوا أسلوب معاملاتهم مع أطفالهم من نماذج المعاملة

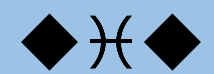
التي شاهدوها على شاشة التلفزيون. وقرر المراهقون أكثر من الكبار أن التلفزيون قدم لهم توضيحات تتلاءم مع حياتهم الشبابية. وأوضحت الدراسات أن المشاهدين يتقمصون شخصيات من يرونهم بالتلفزيون في كثير من الأحيان. ولكن التقمص يتوقف على جنس الشخصية وسنها، وسلالتها، ومستواها الثقافي، فالإناث يتقمصن شخصيات أنثوية، والزنوج يختارون شخصيات زنجية وهكذا.

وبذلك نستطيع أن نقول إن التلفزيون أصبح من الوسائل المعينة على تغيير الحياة بشكل عام لاسيما في مجال التدريس. حيث يمكننا اعتباره إحدى أهم الوسائل على الإطلاق في التعليم المباشر وغير المباشر.

ووجدت بعض الدراسات أن الأطفال يكررون السلوك الذي يشاهدونه على الشاشة في منازلهم، حيث استطاع بعضهم أن يتعرفوا على أسماء السلع وأشكالها من عرضها في الإعلانات. وبعض الأطفال يطلبون شراء كثير مما يشاهدونه على الشاشة، ويتعلمون التمييز بين أنواع السلع.

معنى ذلك أن التلفزيون قد أسهم في إعداد الطفل لولوج الحياة. إلا أن كثيراً من الدراسات التي تناولت اتجاهات المشاهدين نحو البرامج قد أكدت أن الإعلانات التجارية تحظى بأكبر قسط من الشكوى والاتجاهات السلبية. وكذلك يرى بعض أفراد

العينات المدروسة أن هناك كثيراً من العنف والجنس يظهر من خلال شاشات التلفزيون. ولا تقتصر الشكوى من الإعلانات على أنها مزعجة ومثيرة للمضايقات بل إنها خداعة وكاذبة ولا يوثق بها في كثير من الأحيان.



الفصل السادس

❄❄❄❄❄

عصر النت والفضائيات

الفصل السادس

عصر النت والفضائيات

❄❄❄❄❄

شبكات الاتصال العالمية

تطورت شبكات الاتصال التي استخدمت الأقمار الصناعية عبر السنوات. وكان من أول الشبكات التي تعاملت معها البلاد الإسلامية شبكة اليوروفيزون التي أسهمت فيها دول أوربا الغربية. وهذه الشبكة تقوم بإعداد وتوزيع البرامج لكل الدول الأعضاء. وقد اهتمت بتبادل الأخبار منذ عام 1954م حينما بدأت إرسالها لأول مرة. واستطاعت في أقل من عام نقل 55 برنامجاً مختلفاً استغرق إرسالها 73 ساعة.

وفي عام 1955م كانت أغلب دول أوربا قد أطلقت مساهماتها البرامجية على الهواء من خلال الشبكة وبدأت تتبادل البرامج دون أن يؤثر ذلك على برامجها المحلية لمواطنيها بالداخل. وفي السبعينيات كان لشبكة اليوروفيزيون خمسة وعشرون عاملاً في 23 دولة في أوربا وشمال أفريقيا متصلة بدوائر أرضية تقدم برامجها لأكثر من 90 مليون جهاز استقبال تلفزيوني بالدول المختلفة، حتى أصبح جمهورها يقدر بأكثر من 350 مليون

مشاهد حول العالم. ومثلما لعبت شبكة اليوروفيزيون ذلك الدور في المنافسة كانت شبكة أوربا الشرقية المعروفة باسم إنترفيزيون منافساً آخر في دول أوربا الاشتراكية التي ظلت تتبادل البرامج العلمية والأخبار رغماً عن وجود العديد من المصاعب التي واجهت الشبكة من خلال الصراع السياسي الذي كان محتدماً آنذاك بين دول شرق أوربا.

وظهرت شبكة إقليمية أخرى باسم نوردفيزيون وهي منظمة نشأت أساساً لتبادل البرامج واستنباط أشكال حديثة من التعاون بين وحدات برامج التلفزيون في المنظمات الإذاعية في خمس دول اسكندنافية هي (**الدنمارك وفنلندا وأيسلندا والسويد والنرويج**). كما ظهرت في الستينيات من القرن العشرين شبكة آسيافيزيون، وهي ارتباط بين التلفزيون الياباني والأنظمة المشابهة في منطقة الشرق الأقصى.

ووفقاً لذلك المشروع امتدت شبكة آسيافيزيون من اليابان إلى كل من (**الفليبين، وأوكيناوة، وسايجون، وكمبوديا، ولاوس، وتايلاند، وبورما، وباكستان، والهند**). ووصلت في نهاية المطاف إلى كوريا. أما الولايات المتحدة فقد شهدت ظهور الشبكات الإعلامية الكبرى مثل شبكة (**إي بي سي** ABC) و (**إن بي سي** NBC) و (**سي بي إس** CBS). وظلت هذه الشبكات الكبيرة تغرق الأسواق بآلاف العناوين لأحدث ما توصلت إليه أساليب البرمجة التلفزيونية في

العالم. وقد أسهم القمر الصناعي لغرب أوربا في توصيل معظم هذه المواد إلى العديد من الدول الإسلامية والأفريقية.

الإنترنت Internet

الإنترنت Internet شبكة عالمية تربط عدة آلاف من الشبكات وملايين أجهزة الكمبيوتر المختلفة الأنواع والأحجام في العالم. وتكمن فائدة هذه الشبكة الحديثة في كونها وسيلة يستخدمها الأفراد والمؤسسات للتواصل وتبادل المعلومات.

وتشير أحدث الإحصائيات إلى أن عدد مستخدمي الإنترنت قد تجاوز 400 مليون نسمة، ومن المتوقع أن يصل إلى مليار نسمة في عام 2005م. وأصبحت الشبكة تحتوي على اكثر من مليار صفحة.

وقد شهد عالم الكومبيوتر تطوّرات واسعة النطاق خلال القرن العشرين، وخاصة مع اكتشاف الترانزستور في عام 1947م وقبل اكتشاف الترانزيستور Transistor كانت الصمامات الفارغة Vacuum Tubes هي العنصر الرئيسي المستخدم في صناعة الحاسبات، وكانت تعاني من عدة مشاكل، أهمها كبر الحجم واستهلاك الطاقة والتخلّص من الحرارة الناتجة من ذلك الاستهلاك إلى غير ذلك من الأمور. وفي الستينيات بدأ عصر الحاسبات العملاقة في

الازدهار والذي استمر إلى الآن. ومع نهاية السبعينيات ومطلع الثمانينيات بدأت الحاسبات الشخصية في الظهور.

بداية ظهور شبكة الإنترنت

وقد تطورت شبكة الإنترنت بشكل سريع نتيجة العديد من الأبحاث التي بدأت في أوائل الستينيات من القرن المنصرم، وذلك عندما عزمت وزارة الدفاع الأمريكية على دخول مشروع ربط الحاسبات الرئيسية حينئذٍ التابع لوزارة الدفاع بالاتصال فيما بينها.

وكان الغرض هو تشكيل شبكة ذات عدة مراكز الهدف الرئيسي منها هو حماية شبكة المعلومات والاتصالات العسكرية في الولايات المتحدة، بحيث إنه عندما يتعرّض مركز من المراكز لضربة عسكرية فإن المراكز الأخرى تكون قادرة على إتمام عمليات الاتصال بطرق أخرى وغير مكترثة بما حدث لمركز أو مراكز مدمرة، أي أنها شبكة تصلح نفسها بنفسها.

وتتكون شبكة الإنترنت من عدة شبكات للمعلومات، ويقصد بشبكة المعلومات توصيل عدد كبير من أجهزة الكمبيوتر بعضها ببعض بهدف تبادل المعلومات، والشكل النهائي لها على هيئة شبكة ضخمة يمكن لأي عنصر فيها الاتصال بعنصر آخر عن طريق جهاز مُضَمِن Modem لنقل الإشارات الرقمية على خطوط الاتصالات بين

الكمبيوترات، بتحويل الإشارات الرقمية إلى إشارات يمكن نقلها على قنوات اتصالات والعكس وأيضًا خط هاتف. والشبكة الأولى التي تم تصميمها لتعمل في مجال الإنترنت عرفت باسم ARPANET (Advanced Research Project Agency Net). وفي فترة الثمانينيات تطور الأمر أكثر فأكثر حيث أخذت مؤسسة العلوم الوطنية (NSF) الأمريكية National Science Foundation برنامجًا موسعًا لربط الحاسبات المركزية العملاقة مع ARPANET، وبدأت الجامعات ومراكز الأبحاث المتخصصة الأخرى في الكثير من بقاع العالم الانضمام لهذه الشبكة التي عرفت باسم National Science Foundation NET (NSFENT) وتحوّلت إلى Inernet فيما بعد.

ومع نهاية عقد الثمانينيات من القرن العشرين المنصرم أصبح ربط الكومبيوترات ببعضها البعض أمراً هاماً وأساسياً وفعالاً من أجل تشكيل شبكات لخدمة أهداف أكبر وأوسع مما كان عليه الحال مع الكومبيوترات الشخصية المتفرقة. وقامت لذلك العديد من الشبكات المحلية والشبكات الواسعة والشبكات التي تربط المدن ببعضها البعض.

وأصبح هناك عمود فقري يربط هذه الشبكات وهو بمثابة الشبكة الرئيسية في العالم، وقد سميت (الإنترنت) Internet. وتمكنت هذه الشبكة العالمية الجديدة من إزالة حواجز المكان لأكثر من مئة دولة. واختفت المسافات التي تفصل بينها. كما استطاعت العقول

أن تدخل هذه الدول دون جواز سفر. وأمكن إذابة حاجز الزمان والتنقل بين الدول في عدة ثوانٍ والتحدث دون متاعب. بل وأصبح العالم المترامي الأطراف قرية صغيرة نتيجة ثورة الكمبيوتر والإنترنت.

استخدامات الإنترنت

كانت شبكة الإنترنت خاصة للاستعمالات الأكاديمية والبحثية، وكانت منتشرة في أروقة الجامعات والمعاهد العملية. ومع بداية عام 1993م سمح للشركات التجارية باستخدام الشبكة العالمية، وكذلك بدأ ظهور المتصفحات والمسماة ب Browser واشتهر حينذاك Mosaic والآن هناك حوالي أكثر من 30 متصفحا منها نتسكيب Netscape، مايكروسوفت إكسبلورر Microsoft Inernet Explorer، ويب إكسبلورر web Explorer، بَور براوسر power Browser، ويب سيرفر web Server وغيرها.

ولعبت هذه المتصفحات دورًا أساسيًا في نشر الدعاية للشبكة، حيث إنها أدوات بحث تشبه بيئة النوافذ المستخدمة في الحاسبات الشخصية؛ حيث تظهر المعلومات على أساسه إما بشكل أيقونات (Icons) أو نصوص متداخلة والتي عن طريقها نستطيع الانتقال من صفحة إلى صفحة عبر هذه النصوص.

طبيعة مستخدمي الإنترنت

ينتمي معظم مستخدمي الإنترنت إلى الدول الصناعية بنسبة 88٪. وتشير الدراسات إلى أن سكان أميركا الشمالية هم الأكثر تصفحا للإنترنت. حيث يعتبر نصف من يلج الشبكة يوميا من الأميركيين. وقد بلغ عدد مستخدمي الإنترنت في أميركا 130 مليون نسمة وهو تقريبا نصف مجموع السكان بالمقارنة بنسبة 43٪ من مجموع سكان أوروبا.

وقد تبين أن الشباب هم الأكثر استخداما للشبكة بنسبة 50٪ من مجموع المستخدمين، وتتراوح أعمارهم بيمن 16 و43 سنة، بينما تصل نسبة من هم أعلى من سن الخمسين إلى 17٪، ويلاحظ أن 43٪ من مجموع المستخدمين من النساء. وتستخدم اللغة الإنجليزية في 80٪ من مواقع الإنترنت. بينما يتوزع مستخدمو الإنترنت بين أكثر من 26 لغة.

طريق المعلومات السريع Information Highway

عندما بدأ الحاسب الآلي وظهرت الشبكات كانت الوسيلة الرئيسية لنقل المعلومات هي الطريقة المقروءة Text، ولكن بتطوّر التكنولوجيا وتطوّر الحاسب الآلي والبرمجيات التي تساند الصوت والصورة (Vedio, Audio) ظهرت الفكرة والحاجة إلى نقل المعلومات بشتى صورها المقروءة والمرئية والمسموعة، وأخيرًا الصور ذات البعد

الثلاثي. وتمَّ دمج كل هذه الأشكال المعلوماتية في نظام معلوماتي موحد يهدف إلى خدمة كل القطاعات العلمية والاجتماعية والصناعية، وغيرها من القطاعات الأخرى. ويعرف هذا المشروع بطريق المعلومات السريع. وقد أطلق نائب الرئيس الأمريكي السابق آل قور Al Gore عندما كان نائباً برلمانياً على هذا الطريق اسم طريق المعلومات فائق السرعة Information Superhiway.

البحث عن المعلومات في شبكة الإنترنت

من الطبيعي أنه كلّما زادت كمية المعلومات على الشبكة أصبح البحث عن معلومات معينة أمرًا صعباً. ولكن لتسهيل البحث أنتجت شركات الحاسبات والبرمجيات البرامج المتخصصة التي من شأنها البحث عن المعلومات المطلوبة.

فمثلاً من أشهر البرمجيات المتوافرة والتي تساعد المستخدمين في عملية البحث هي ياهو Yahoo، لايكوس Lycos، أكسيت Excite، ألتافيستا Alta Vesta، وباستطاعة الجهة التي تضع صفحتها على الشبكة الاتصال بهذه الشركات والتنسيق معها لوضع معلوماتها على أجهزتها لكي تسهل عملية البحث للآخرين. وتغطي الشبكة جميع مجالات الحياة المختلفة للفرد، كالمجال الصحي، والثقافي، والاقتصادي، والسياسي، ونشرات الأخبار، والتعليم، والمجالات المختلفة، ودور النشر، والسياحة، والمتاحف،

والمعارض وغيرها. وبذلك أصبح كل ما يحتاجه الإنسان موجوداً على الشبكة وبدرجات متفاوتة من التفصيل.

بروتوكولات الإنترنت

لكي تتمكن أجهزة الكمبيوتر من تبادُل المعلومات والاتصال فيما بينها، لا بد لها من التوافق مع مجموعة من معايير الاتصال التي تسمى البروتوكولات Protocols. وتعتمِد جميع أجهزة الكمبيوتر المتصلة بشبكة الإنترنت حول العالم بروتوكولاً يُسمى بروتوكول الإنترنت Internet Protocol - IP، وهو يقوم بتجزيء الرسائل الإلكترونية إلى وحدات بيانات تدعى الحُزَم Packets، كما إنه يتحكم بتوجيه البيانات من المرسِل إلى المستقبِل.

وينضوي بروتوكول الإنترنت (Internet Protocol - IP) تحت مجموعة بروتوكولات التحكم بالإرسال التي طورتها وزارة الدفاع الأمريكية لإتاحة الاتصالات عبر الشبكات المختلفة. وبالطبع فإن كل من يريد التصفح أو الاتصال عبر الإنترنت عليه أن يكون مشتركاً بهذه الخدمة. ويتأتّى ذلك بإحدى طريقتين:

الطريقة الأولى:

الاتصال الشبكي الهاتفي Dial-up مع موفر خدمة الإنترنت (Internet Service Provider ISP) وهذه هي الطريقة المعتادة لدى مستخدمي أجهزة الكمبيوتر في المنازل.

الطريقة الثانية:

الخط المُخصص (Dedicated line) **المتصل بشبكة محلية** (Local Area Network-LAN)، **وهذه هي الطريقة المعتادة لدى المؤسسات والشركات الكبرى التي قد يكون لها عُقدة** (Node) **خاصة بها على الإنترنت، أو قد تكون متصلة بموفر خدمة الإنترنت** ISP.

ويتكون العمود الفقري للإنترنت (The Backbone of the Internet) **من خطوط اتصالات تنقل البيانات بسرعة عالية، وتربط العُقَدَ وأجهزة الكمبيوتر المُضيفة الرئيسة. وتسري حركة البيانات بكميات كبيرة عبر هذه الخطوط.**

إنترنت2 / Internet2

برزت فكرة إنترنت 2 **للوجود كفكرة طموحة للتحديث، وهي مشروعٌ هدف إلى تطوير شبكات كمبيوتر تنقل المعلومات بسرعة فائقة بغرض تسريع قدوم المعلومات. وقد أُطلِق هذا المشروع عام** 1999**م برعاية مؤسسة تسمى المؤسسة الجامعية لتطوير الإنترنت** (UCAID) The University Corporation for Advanced Internet Development **وعملت أكثر من** 170 **جامعة على تطوير وتنفيذ ما تطلبه إنترنت** 2 **من تطبيقات وتقنيات شبكية متقدمة، وذلك بالاشتراك مع الحكومة الأمريكية، ومع أكثر من** 60 **شركة رائدة**

عالمياً في قطاع تكنولوجيا المعلومات. ولم تقتصر استخدامات هذه التطبيقات والتقنيات على الأبحاث والتعليم، بل شملت أيضاً أغراضاً تجارية. ولم تكن إنترنت 2 منفصِلة عن شبكة الإنترنت القديمة ولا بديلا عنها وإنما تكاملت معها في أداء المهمة.

وقد أصبح العمود الفقري لإنترنت2؛ وهو يتكون من ألياف ضوئية –(fiber optic) فعالاً (live) منذ عام 1999م. وتم تسريع نشر التطبيقات والخدمات الشبكية إلى المزيد من الجمهور، كما أنها شجعت تطوير تطبيقات ثورية في مجال الإنترنت.

وبالطبع فإن شبكة الانترنت لم تتوقف عند حدودها المعروفة وإنما انطلقت في الأول من أكتوبر عام 1997م بمبادرة اشتركت فيها عدة هيئات ومؤسسات سعياً لمضاعفة سرعة الإنترنت 1000 مرة، ولإيجاد تقنيات تشبيك أقوى كثيرا من تلك التي بدأت بها الشبكة. وظلت تتطور يوما بعد يوم إلى أن وصلت إلى ما هي عليه الآن.

الدين والإنترنت

تزايدت اليوم الاستخدامات الدينية للإنترنت، ليس فقط لدى أتباع الأديان وإنما أيضا لأولئك الباحثين عن حقيقة الوجود وعن قدرة الله سبحانه وتعالى، والذين يتوقون إلى الحقيقة ويبحثون عمن يلبي لهم حاجاتهم الروحية التي كبحتها الحياة

المادية المعاصرة. كما أتاحت شبكة المعلومات الدولية تجارب روحية لاتباع الأديان، وفرصاً للتعرف على تعاليم الدين والتواصل مع المؤسسات الدينية ودور العبادة عبر الفضاء الإلكتروني.

وهي بذلك قد قدمت فرصاً كبيرة للتعريف بتعاليم الإسلام و نشر الثقافة الإسلامية. كما أتاحت نوعا من التعارف بين المسلمين وسعت إلى إعادة الوحدة بينهم. وهناك ما تسمى شبكة الدولة للمعلومات التي جاءت باستخدامات دينية عديدة من خلال الإنترنت.

وقد كانت الاستخدامات الدينية للإنترنت في الغرب محور اهتمام العديد من العلماء والباحثين في مجالات الاديان والاتصال الجماهيري وتكنولوجيا المعلومات ومن بينهم الباحثان ستيفن دي. أو ليري، و برندا براشر الذين قدّما في دراستهما:

«**الإله المجهول للإنترنت: الإتصال الديني من مدينة أغورا القديمة إلى المنتدى الافتراضي**» تحليلاً علمياً لما سمياه بالدين عبر الوسائل التكنولوجية.

وتناول الباحثان في تلك الدراسة الجهود الأولية التي تمت وكان نتاجها نقل المجتمع والتجربة الدينية إلى بيئات إلكترونية على شبكة المعلومات الدولية من خلال البريد الإلكتروني وجماعات النقاش، و القوائم البريدية المنتشرة حول العالم.

عصر الفضائيات

بدأ التلفزيون يأخذ مكانه في بيوت العالم وأخذت أجهزة الإرسال التلفزيوني تنتشر في كل ركن من هذا العالم، ونجد أن البلاد الصناعية بها أكثر من شبكة تلفزيونية واحدة، كما نجد أن سكان المناطق الآهلة بالسكان، في هذه البلاد المتقدمة يستطيعون أن يديروا مفاتيح أجهزتهم ليحصلوا على برامج خمس قنوات أو حتى عشرة.

وأخذت النواحي الفنية في الإرسال التلفزيوني تتطور، وفي إطار الموجات الكهربائية الأرضية وباستخدام الإرسال العالي الذبذبات، أخذ التلفزيون ينتشر أكثر فأكثر، وفي بعض البلاد نجد أنها تستخدم الموجات الكهربائية في إرسال البرامج.

ويحاول العلماء والفنيون إدخال تجديدات تبشر بالأمل على أجهزة الإرسال اللاسلكية مثل الوصول إلى 18 بليون دائرة في الثانية وهو ما يعرف بنظام (جيجا هيرتز)، نسبة إلى العالم الألماني (هيرتز)، بل ويستخدمون أشعة الليزر، والأشعة تحت الحمراء خلال الأثير للإرسال (ظهر أن استخدام أشعة الليزر، والأشعة تحت الحمراء تبشر بتطور جديد إذا استخدمت خلال قنوات نظرية. وتجوب الأجواء الآن أقمار صناعية إذاعية، منها (الطائر المبكر Early Bird) (مولينيا Molinya) (انتلسات Intelsat) وهذه الأقمار تقوم بإرسال البرامج الإذاعية والتلفزيونية عبر القارات. وإن كانت

التطورات الفنية الحالية لا تزال تحد من إمكانيات هذه الأقمار. ونتيجة لذلك ينبغي إقامة محطات أرضية خاصة لها هوائيات ضخمة وشديدة الحساسية، حتى تستطيع أن تلتقط الإشارات من القمر الصناعي وتضخمها حتى يتم الإرسال.

دخل التلفزيون معظم بقاع العالم وبالطبع فهو قد وجد مكانه في جميع الدول العربية. وتوجد ثلاث محطات أرضية في المنطقة العربية أولاها في لبنان وترتبط بالقمر الصناعي المتمركز فوق المحيط الهندي، والثانية في الكويت وترتبط بنفس القمر، والثالثة في الأردن وترتبط بالقمر الصناعي المتمركز فوق المحيط الأطلسي.

وتيسر هذه المحطات الإرسال والاستقبال من هذه الدول إلى بقية أطراف العالم. أما دول المغرب العربي (تونس، والجزائر، والمغرب) فهي مرتبطة عن طريق شبكات أرضية ارتبطت مع الشبكة الأوربية بوصلة أرضية تم مدها عبر جبل طارق.

الهاتف كوسيلة اتصال

في عام 1876م اخترع الأمريكي ألكساندر جراهام بيل Alexander Graham Bell جهاز الهاتف الذي أطلق عليه اسم تلفون Telephone، والتي تتكون من كلمتين هما Tele و Phone. وهما تعنيان المخاطبة من بعيد أو عبر المسافات. وقد اعتبر اختراع التلفون أمراً

هاماً ومتطوراً أسهم في رقي البشرية وحل العديد من مشاكلها التي تمثلت في الأسفار والمشاق العديدة من أجل توصيل معلومة أو خبر من مكان لمكان أو من شخص إلى آخر قبل اختراع الهاتف.

واعتبره معظم علماء الاتصال وسيلة للاتصال الثنائي Interpersonal Communication بحكم أنه يربط بين شخصين يستخدمانه في الحديث المباشر. ووفقاً لذلك فإن المحادثة عبره تعتبر اتصالاً ثنائياً بوسيط آلي.

وقد استمر هذا الدور للهاتف لسنوات عديدة ظل فيها وعاءاً هاماً ووحيداً لنقل هذا الشكل من أشكال الاتصال. وبمرور السنوات جاءت الإذاعات لتضيف للهاتف بعداً آخر من خلال استخدامها له في نقل البرامج من مواقعها الحية خارج الأستديوهات.

وقد تحدث معظم الكتاب وأساتذة علم الاتصال عن الهاتف على أنه وسيلة اتصال ولكنها ليست جماهيرية. بمعنى أنه وسيلة ثنائية فقط وليست كالراديو أو التلفاز أو السينما. ولعلنا نثق في الخلفيات التي اعتمد عليها هؤلاء المختصون في توصيف التلفون ولكن لدينا بعض التحفظات في عدم اعتبار التلفون وسيلة جماهيرية. وحجتنا في هذا ما آل إليه جهاز الهاتف عبر السنوات والتطور الذي اعترى خدماته. ومن ذلك دوره الأساسي في نقل خدمات شبكة الإنترنت Internet العالمية التي جعلت منه أهم أدواتها

على الإطلاق. حيثُ لا يمكن للإنسان أن يتصفح خدمات الإنترنت إلا إذا أوصل جهازه بالشبكة الداخلية Server التي يتعامل معها مثل TmNet أو غيرها من الشبكات العديدة المنتشرة حول العالم عن طريق الهاتف.

ويساعد على هذا الاتصال جهاز الموديم Modem المُدمج في جهاز الكومبيوتر والذي يقوم بتحويل الأصوات إلى أرقام والحروف إلى ذبذبات لِتَسْهُلَ عمليةُ انتقال المواد عبر الشبكة. وإذا انقطع هذا الخط التلفوني في أي لحظةٍ من اللحظات تعذر استقبال الإنترنت إلى درجة الاستحالة.

وقد جاء في تقرير شبكة ياهو Yahoo عن الإنترنت لعام 2000م، والذي صدر في يوم 31 ديسمبر 2000م أنَّ عدد المتصفحين لشبكة الإنترنت يُقدر بثلاثة ملايين وخمسمائة ألف شخص في اللحظة الواحدة.

إذن يمكن لأي عددٍ منهم أن ينخرط في شبكة حوارٍ مفتوح يتجادل فيها مع الآخرين بما يشاء لأدركنا أنَّ جهاز الهاتف قد تفوق على نفسه وأصبح أكبر من مجرد قناة اتصالٍ ثنائي.

ومن زاويةٍ أخرى أصبح جهاز الهاتف أهمَّ وسيلةٍ في نقل المؤتمرات الحديثة التي تُسمى بمؤتمرات الفيديو Video Conferences، حيث يشارك في هذه المؤتمرات عددٌ غير محدود من الشخصيات من مختلف بقاعِ العالم. وتقومُ بإدارة هذه المؤتمرات محطات التلفزيون

والإذاعة المنتشرة في كل مكان. ويتبادل المشاركون في هذه المؤتمرات الحوار حول كل المواضيع المطروحة للنقاش. ويتداخلون بشكلٍ سهلٍ وميسور ليتم الرد عليهم وقتياً من خلال شبكة الحوار المتصلة بجميع أنحاء العالم.

وليسَ أمامَ أي واحدٍ منهم غير جهاز التلفون. ونفسُ هذا الأسلوب لجأت إليه برامج الإذاعات في معظم بقاع العالم لإدارة ما يُسمى ببرامج الاتصالات الهاتفية Call Inns، التي يقومُ فيها أحدُ الأشخاص بإدارة الحوار وتوزيع الفرص بين عشرات المشاركين من المستمعين الذين لا يربطهم أي رابط جغرافي سوى جهاز الهاتف وموجات الأثير.

وقد ذهب جهاز الهاتف إلى أبعد من ذلك عندما ظهرت في السنوات الأخيرة من عقد الثمانينيات والتسعينيات العديدُ من الحفلات الموسيقية التي اعتمدت على التلفون وحده كقناةٍ لنقل الاحتفالات حيةً على الهواء، وذلك مُقابِلَ مبلغٍ من المال يدفعه المشتركون للجهات المنظمة للاحتفال.

وقد مَكَّنَ هذا الأسلوب آلاف المستمعين من التقاط هذه الحفلات الموسيقية في نفس اللحظة التي تُقدمُ فيها على خشبةِ المسرح. فهل يمكن أن نُسمي الهاتف بعد كل هذا جهاز اتصالٍ ثنائي مثلما وصفته كتب الاتصال القديمة؟ وعلى العموم فإن عالم الإعلام والاتصال مليءٌ بالمفاجآت التي فرضتها طبيع هذا العلم ذي

الخصوصية. وهذه الطبيعة اقتضت أن يتوقع الناسُ في كل مرحلة إنتاجاً جديداً من أدوات الاتصال يمكن أن يغير ملامح العطاء المألوفة للناس سواء عبر الفضاء أو عبر الوسائل المقروءة.



تم بحمد الله



المؤلف في سطور:

- الاسم: عوض إبراهيم عوض محمد
- سوداني، ولد بمدينة النهود، السودان
- متزوج، وأب لأربعة أولاد وبنت واحدة.
- يتحدث العربية+ الإنجليزية+ الملايوية
- مذيع، ومعد برامج، ومحرر، ومخرج.
- كاتب صحفي، وشاعر، ومؤلف، ومترجم، ومدرب.
- نال دراساته العليا والتخصصية بماليزيا، والولايات المتحدة، والسودان.
- بروفيسور بكلية الإعلام، جامعة إفريقيا العالمية بالخرطوم، السودان.
- عميد كلية الإعلام بجامعة الوسيلة للعلوم والتكنولوجيا.
- مدير قناة الأمل التلفزيونية الفضائية.
- سفير النوايا الحسنة لمكافحة الدرن بالسودان لدى منظمة الصحة العالمية.
- عضو هيئة المستشارين لمجلس الوزراء ووزيري الإعلام والتجارة الخارجية.
- عضو دائرة علوم الاتصال بمعهد إمام جامعة الجزيرة.
- عضو مجلس الأمناء لجامعة غرب كردفان، وعشر منظمات إنسانية.
- عضو جائزة الشيخ البرعي برئاسة الجمهورية.
- نال درجة الأستاذ المتخصص في علوم الاتصال من جامعة أوهايو بالولايات المتحدة.
- نال درجة الدكتوراه الأولى في وسائل الاتصال واللغويات من جامعة الملايو بكوالالمبور.
- نال الدكتوراه الثانية في الإعلام، من جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بأم درمان.
- نال درجة الدكتوراه الثالثة في العلوم السياسة من جامعة الزعيم الأزهري.